العولمة

وتاريخ الصراع مع الغرب

الدكتور
رمضان الدين الكيلاني

منتدى سور الأزبكية
www.books4all.net

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

https://twitter.com/SourAlAzbakya

https://www.facebook.com/books4all.net

العولمـــة

وتاريـــخ الصراع مـــع الغرب

الدكتور: رعد شمس الدين الكيلاني

العولمـــة

وتاريـــخ الصراع مـــع الغرب

الدكتور: رعد شمس الدين الكيلاني

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ٢٠١١/٨/٣١٢٦

ISBN 978 – 9957- 551- 20 -9

الطبعة العربية الأولى ٢٠١٢م

جميع حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطباعة والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر.

دارالجنان للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي(التوزيع - المكتبة)

٠٠٩٦٢٧٩٥٧٤٧٤٦٠ - ٠٠٩٦٢٧٩٦٢٩٥٤٥٧

ص. ب ٩٢٧٤٨٦ الرمز البريدي ١١١٩٠ عمان

مكتب السودان . الخرطوم

٠٠٢٤٩٩١٨٠٦٤٩٨٤

E-mail:dar_jenan@yahoo.com

تعريف العولمة
وتاريخ الصراع مع الغرب

عندما فاجأت العولمة العالم الإسلامي بظهورها واقتحامها، اصيب المسلمون بالذهول، والكثير اختلطت عليه الأمور ولم يعد يملك القدرة على استيعاب المتغيرات، والاحداث التي سيطرت على الكرة الأرضية اليوم، وبناء على هذا التحدي الخطير الذي يواجه العالم الإسلامي قام الباحث بتسليط الضوء على العولمة، وكشف خلفياتها السياسية والفكرية عبر قراءة للعلاقة بين الغرب والإسلام والمسلمين منذ بداية البعثة النبوية المشرفة حتى ظهور العولمة كقوة عالمية احادية القطب في عصرنا الحديث، وتحديدا عند نهاية المعسكر الشرقي، وتفكيك جمهوريات الاتحاد السوفيتي، اذ سبقت هذا الحدث تحذيرات من قادة الغرب تؤكد الاستعداد لمواجهة العالم الاسلامي، والانتباه الى القوة الصاعدة الاسلامية، والتفرغ لهذا العدو وانهاء الحرب الباردة والمصطنعة بين الغرب والشيوعية، ولما كان الموضوع خطيرا تطلب متابعة تاريخية للفكر الغربي واليهودي الذي كان يراقب ويخطط للقضاء عللى الاسلام، فقسمت البحث على عنوانات رئيسة مرتبطة بموضوعاتها ،وبحسب الفهرست المذكور، وتمثل هذه الافكار رؤية ودراسة قام بها الباحث خدمة للاسلام والمسلمين، لتبيه المسلمين الى خطورة وحجم المؤامرة التي تحاك ضدهم، ونسأله تعالى ان يتجاوز عني كل الخطأ انه سميع مجيب.

المؤلف

د. رعد شمس الدين الكيلاني

بغداد نهاية عام ٢٠١٠م

تمهيـــد

قـال تعـالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾[2].

الأوهام والغرور والطغيان والخوف والجوع مفردات عاشت مع الإنسان منذ ان خلقه الله تعالى ولكن بصور مختلفة ولذلك كان حكم الملائكة على الإنسان مبنيا على القناعة التامة والمستندة الى واقع الحال الذي يؤكد ان هذا الإنسان قد تلبسته حالة الفساد وسفك الدماء فوصفت الملائكة شخصيته في قوله تعالى ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾[3] ولكن الله تعالى العليم الحكيم اراد للإنسان خيرا وسعادة حقيقية في ظل تعاليمه في الحياة الدنيا ونعيما ابديا في الحياة الاخرة. وهكذا كانت البداية وحي وتعاليم من السماء للإنسان يهتدي بها ويعيش في ظلها وكلما ابتعد الإنسان عن مصدر سعادته سقط في شراك الشيطان وتخلى عن القيم الانسانية وهبط الى حضيض الحيوانية بل ادنى منها. ولم يترك الله جلَّ وعلا الانسان، ففي كل مرة يسقط فيها الانسان يبعث الله نبيا او رسولا لانتشاله وليضع خطواته من جديد على الصراط المستقيم. وفي اخر مرة بعث الله تعالى نبيا رسولا وانزل معه كتابا جعله دستورا للانسان على الارض يحقق الانسان في التفاعل معه انسانيته، وكانت الرسالة الاخيرة عالمية تخاطب الانسان في كل مكان وزمان الى قيام الساعة من هنا كانت هذه العالمية تمثل الإنسانية وتمثل الرحمة وتواجه الظلم والطغيان وتحّمل الأمة التي استجابت للرسالة في تنزيلها الاول مسؤولية انقاذ الانسانية من الاستعباد والذل

---

(١) آل عمران: الآية ١٧٥.

(٢) النساء: الآية ١٢٠.

(3) البقرة: الاية ٣٠.

والخوف وفي مقابلة هذا المنهج الالهي للانسان كان الشيطان يحاول باستمرار ولم يكف عن محاولته لخداع الانسان وتخويفه من السير على الطريق الصحيح ولما كانت الرسالة الاخيرة عالمية وانسانية واجهتها فلسفات ارتكاسية شمولية اولها اليهودية المحرفة التي تخدم الحركة الصهيونية ففي القرن الثامن عشر الميلادي ظهر قس انكليزي يدعى مالثوس ابدع عقله قانونا اجراميا سماه (قانون الفقراء) (Poor Low) وخلاصة هذا القانون (ان الموارد الطبيعية لا تتناسب مع الزيادة السكانية فلابد من ادراك ان الفقراء العاطلين لا يستحقون الحياة ولابد من التخلص منهم) وكان هذا القانون ملهما للماركسية في نظرتها الى الانسان حين اقرت بمبدأ: ان الحياة يستحقها الذي يملك القدرة على الانتاج ثم جاء دارون ووضع نظريته (أصل الانواع) مستلهما قانون الفقراء عندما اقر ان البقاء في الحياة للاصلح، وهكذا كانت هذه الفلسفات اللا انسانية قابعة خلف مصادر التأثير في الحياة (المال والعلم والسلطة) تحرك القوى الطاغوتية لمواجهة الاسلام. او الانسانية بصورة عامة وعندما ننظر الى تاريخ اوربا ونتلمس خلفية الاحداث ندرك ان حركة القوة الطاغوتية كانت تستند الى الفلسفة الشيطانية اللا انسانية التي تابعناها وفق السياق التاريخي . ففي الحرب العالمية الاولى وفي اجواء المذابح الجماعية ظهر قانون او مصطلح (ثالوث المعونة) (Triage) وكان يستخدم لوصف نظام تقديم المساعدة الطبية في مستشفيات الميدان، فقد كان الجرحى يقسمون على ثلاث مجموعات:

١. من سيعيشون ليحاربوا مرة اخرى دون مساعدة طبية.

٢. ومن لن يشفوا حتى بالمساعدة الطبية.

٣. ومن ستكون المساعدة الطبية حاسمة بالنسبة لهم[١].

---

(١) صناعة الجوع او خرافة الندرة، فرانسيس مورلابيه وجوزيف كولومينز، ترجمة احمد حسان، ص٣٩٦. وهذا يؤكد ان الفكر الغربي فكر نفعي برغماتي قائم على المصلحة

ومن هذا القانون استلهمت القوى الغربية قانون المساعدة للبلدان النامية على وفق هذا المفهوم مصطلح (ثالوث المعونة) الذي تحدد بموجبه الدول التي تستحق المساعدة من التي لا تستحقها وقد عبر عن ذلك احد اعضاء مجلس الامن القومي الامريكي عندما ذكر (بأن منح المعونة الغذائية للبلدان لمجرد ان الناس جوعى هو سبب بالغ الضعف)[1]، واكد بأن المعونات الخارجية لابد ان تذهب لخدمة المصالح السياسية والاقتصادية.

ويلتقي مصطلح الثالوث مع قانون الفقراء لمالثوس حيث يقوم على اساس مقولة الرعب القائلة بأننا ندخل عصر الندرة المطلقة، وبناء على هذه النظرية يجب توزيع الغذاء بحرص لضمان بقاء انفسنا.

ويخطو جاريت هاردين استاذ الايكولوجيا البشرية في جامعة كاليفورينا خطوة اكثر صراحة ويكشف عن حقيقة الاستراتيجية الغربية عندما يشّبه الكوكب الارضي بقارب النجاة فيقول: "(فإذا سمحنا لأي شخص بركوب قارب نجاتنا فسوف نغرق جميعا " وهكذا يجري خداع الناس بصورة مرعبة عن النقص الغذائي والانفجار السكاني)[2]. ويبرر القتل الجماعي والابادة السكانية للتخلص من الزيادات في معدلات النمو للبلدان النامية.

وفي هذه الاجواء وعلى وفق تطور الايديولوجيات عبر السياق التاريخي لتشكل المفاهيم المتأسسة على المصالح والذرائعية المفرطة والانوية الطاغية ظهرت العولمة وفي غياب القوة المضادة التي كانت تعمل على نوع من التوازن

والانانية بخلاف الفكر الاسلامي الذي يصدر من تفاعل العقل الاسلامي مع الوحي فهو ينتمي الى المدرسة الانسانية التي تدعو الى الحفاظ على الضرورات الخمسة المرتبطة بالانسان، الدين، العقل، المال، النفس، النسل.

(١) المصدر نفسه، ص٣٩٦ .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٣٩٦.

أكتسحت القوة الاحادية العالم وفرضت النظام العالمي الجديد وعرضت النمط الامريكي للحياة وحاولت خداع العالم بما يظهر من نقاط الجذب واوهام السعادة التي كان الشيطان يعد ويمني بها اتباعه.

ولا نريد ان نقف عند معنى العولمة ودلالتها الفكرية والاقتصادية لأن الموضوع قد استهلك بحثا او انه يمكن التعرف عليه من خلال زوايا غير زاوية النظر التي نقف عليها، ولكن لابد من قراءة العقل الغربي الذي صنع العولمة، وفي اي سياق تاريخي نضجت معالم نظريتها؟ وما هي منطلقاتها وخلفيتها الايدلوجية؟ ولابد من التذكير بأن الاوهام والخداع والتخويف من الوسائل الفعالة والمهمة في عملية تسويق العولمة. (ان مشكلة العالم الغربي كله انه فصّل الاقتصاد عن الاخلاق كما فصل السياسة عن الاخلاق والعلم عن الاخلاق والحرب عن الاخلاق وزعم ان الغاية تبرر الوسيلة، هذا مع ان غايته هذا ليست شريفة بل هي غاية شريرة: ان يحيا المرء ولو بموت غيره، وان يبني نفسه على انقاض غيره)[1]. وكما ذكرنا بأن المواجهة الأولى للإسلام كانت مع اليهود الذين حرفوا التوراة واستمرت المواجهة ولم تتوقف حتى العصر الحديث ولكنها تكون واضحة ومكشوفة احيانا ومخفية احيانا اخرى. وتمثلت المواجهة بتوظيف اليهود كل الوسائل ضد الاسلام فكانت الماركسية الإلحادية والداروينية وغيرها من الفلسفات واخرها كانت العولمة (وكل العولمات في النهاية تعمل لصالح المشروع الصهيوني وخدمة دولة الكيان الصهيوني (اسرائيل): العولمة السياسية والعولمة الاقتصادية والعولمة الثقافية والعولمة الدينية، وكل ما يمكن ان يخترع من العولمات وما بعد العولمات قد يحقق مصالح لأمريكا خاصة وللغرب عامة ولكن لابد ان تستفيد منه في النهاية اسرائيل)[2].

---

(١) المسلمون والعولمة، د. يوسف القرضاوي، ص٤٥.

(٢) المسلمون والعولمة، المصدر السابق، ص٧٩.

ومنذ ان تحالفت اليهودية مع المسيحية تم توظيف العالم الغربي وامكاناته البشرية والاقتصادية لمصلحة الحركة الصهيونية وتمت هذه العملية عبر مئات السنين وبتخطيط يهودي خبيث وماكر استخدمت فيه الاموال والشهوات للوصول الى هذه النتيجة، وان هذه النظرة لا تستند الى نظرية المؤامرة التي يروج الفكر العولمي والشمولي الى استبعادها ويمارس ضغوطا فكرية تصل الى حد الاتهام بالسطحية لكل من يحاول ان يفهم الاحداث على وفق سياقها التاريخي. ويذكر البعض (ان العولمة اسقطت نظرية المؤامرة بفضل سرعة وسهولة تدفق المعلومات)[1]، ونحن لا نعتقد بآلية نظرية المؤامرة كما يصورها المستسلمون لها بقدرية وجبرية سالبة لكل قدرة على الحركة والفعل المواجه لها. ولكن نعتقد بوجود مصالح استراتيجية تتفق عليها وعلى تحقيقها قوى الطغيان العالمي لنهب ثروات الشعوب وسلب حريتها واستعبادها كما ذكر القرآن الكريم عن السلطة الفرعونية المعاصرة لموسى عليه السلام عندما قال يمتن على موسى عليه السلام ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[2]، فاجابه موسى عليه السلام ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]. وبذلك تكون المصالح دافعا قويا لتآمر الاقوياء على المستضعفين لاحكام السيطرة على ثرواتهم.

وهكذا تقول قوى العولمة الطاغوتية بانا نمنحكم اسباب الحياة نعدكم بسعادة ومتعة لن يقدمها للشعوب غيرنا وما على الشعوب الا القبول بنمط الحياة المسوق اليها من دوائر الاسرار الكوكبية، وعلى هذا الاساس لا يوجد

---

(١) العولمة ما لها وعليها، د. ناصر عبيد الناصر، باحث سوري، ورقة مقدمة الى ندوة بغداد (العولمة واثرها في الاقتصاد العربي)، اصدر بيت الحكمة كتابا يحوي الأوراق المقدمة للندوة سنة ٢٠٠٢م.

(٢) الشعراء: الآية ١٨.

(٣) الشعراء: الآية ٢٢.

سيناريو متفق عليه بين اطراف اللعبة ولكن هناك تخطيط وبرامج ذكية للوصول الى الهيمنة والسيطرة على اقتصاد العالم وتستخدم الايدلوجيات كغطاء تبريري لتحريك الرأي العام لخدمة اهداف القوى الكبرى ولذلك كان الصراع هو النمط الطاغي على علاقات البشر لتلبس الاهواء والمصالح للانسان في كل زمان ومكان. وعندما ننظر الى الاحداث من خلال هذه الزاوية تستطيع ان نفهم الازدواجية في المعايير والمكاييل التي يمارسها الاقوياء على المستضعفين ولذلك يرى (جاك ادا. ان العولمة تعني سيطرة الرأسمالية على العالم، اي هيمنة الدول القوية وتحكمها بمصير البشرية. ويرى بعضهم الاخر ان العولمة تيار كاسح حطم الحدود الاقليمية ودمر الثقافات القوية وتحكمها بمصير البشرية، من هنا كانت السياسات العولمية تطغى على احتمالات الجوانب الايجابية التي يمكن ان تنعكس على الحياة في ظل العولمة فالمشكلة تظهر في التوجيه المركزي للعولمة بما يضيق من فوائد التواصل العالمي ويعزز آليات الاستغلال والهيمنة وفرض مصالح الأقوى وكل هذا ينمي النزعات اللا انسانية والنفعية ويزرع الشقاق والتفتت ويؤدي الى الاستئثار المصلحي والعنصري الضيق لفوائد العلم والتكنولوجيا)[1] فالعولمة على هذا الأساس هي نمط جديد ابتدعه صناع القرار الطاغوتي وهيأوا العالم لقبوله في سياق تفكيك اقطاب الصراع الاولى مع فارق استخدام التطور التكنولوجي لخدمة الوضع السياسي السائد في العالم ، وبعد ان قدم غورباتشوف (اكبر قوة في العالم – على طبق من ذهب – للتفكك والضياع والمصير المجهول، قام رأسماليو الغرب بانشاء معهد باسمه في احد اهم اماكن سان فرانسيسكو، وكانت هذه الاحتفالية الضخمة التي دعي اليها اكثر من خمسمائة من رموز الفكر والسياسة في العالم على رأسهم بوش وتاتشر

---

(١) العولمة ما لها وما عليها، ندوة بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٢م.

وشولتس واكبر رؤساء المؤسسات في العالم في الفندق الاسطوري الفيرمونت وذلك لمناقشة مستقبل البشرية مع العولمة)[1].

وهذا يدفعنا الى ان نستنتج بأن العولمة لم تلغ نظرية المؤامرة بل ان سياق الأحداث يؤكد ان ظهور العولمة في هذه المرحلة جاء كنتيجة لمؤامرة معقدة وعميقة ومتجذرة ضمن انحدارات تاريخية وايدلوجية فجاء نشوء العولمة (كظاهرة موضوعية – وذاتية – دولية واقليمية مواتية وليس كحتمية تاريخية كما يدعي او يتذرع اصحابها او المدافعون عنها، فهي ليست شكلا طارئا من اشكال التطور البشري وانما هي امتداد بالمعنى التاريخي والسياسي والمعرفي والاقتصادي لعملية التطور الرأسمالي)[2].

وهذا التطور الرأسمالي كان ثمرة لعمليات دراسية وتطويرية تم انتاجها في دوائر الرأسمالية العالمية، ومع ان المصالح كانت هي الهدف الاستراتيجي من العولمة وظهورها التي تمثلت بنظام عالمي جديد تتحكم به قوى السوق وتوجهه المصالح الرأسمالية، ويدعو الى ازالة الحدود بين الدول والقضاء على هوية الشعوب لكن هذا الظهور كان لابد له من محرك ودافع وغطاء ايديولوجي لخدمة اهداف التطور الرأسمالي فتمت الاستعانة بالتاريخ الايدلوجي لكي توضع العلاقة مع الاخر ضمن مفهوم الصراع ثم الانتقال بها الى مفهوم الصدام وهذه هي آلية عمل نظرية صموئيل هنتكون اليهودي الامريكي في (صدام الحضارات) إذ يقول: (في الثامن عشر من ابريل عام ١٩٩٤ تجمع الفا مواطن من سراييفو وهم يلوحون بعلمي المملكة العربية السعودية وتركيا ويتلويحهم بتلك الاعلام بدلا من اعلام الامم المتحدة او حلف شمال الاطلسي فانهم في الحقيقة

---

(١) ظاهرة العولمة رؤية نقدية، د. محمد بركات محمد مراد، كتاب الأمة، ص٨٨.

(٢) انظر: العولمة وطبيعة الأزمات، غازي الصوراني، باحث فلسطيني، ورقة مقدمة الى ندوة بغداد حول العولمة (بيت الحكمة)٢٠٠٢.

كانوا يعلنون عن توحدهم مع رفاقهم المسلمين)[1]. عليه ليس بالضرورة ان تكون هناك مؤامرة مركزية ولكن هناك التقاء مصالح تلتقي ظاهريا بالفرض كما وصف القرآن الكريم تحالف النفاق مع اليهود ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ سورة الحشر/١٤، ولكي تكون الصورة اكثر وضوحا لابد من متابعة تطور علاقة الغرب بالاسلام عبر تاريخ طويل من الغموض والتعقيد والصراع.

اللقاء الاخير بين الاسلام والغرب :

كان اللقاء الاول في عصر الرسالة قد تمثل في رسائل الرسول ﷺ الى ملوك الارض وفي غزوة تبوك واليرموك، اما اللقاء الثاني فكان متمثلا بالحروب الصليبية في عصر صلاح الدين وبعد عصر النهضة كانت مقدمات اللقاء الثالث واضحة المعالم منذ ان وصل الغرب الى قمة الانجازات في مجال العلم والتكنولوجيا وصاحب هذا الظهور الغربي عودة بالشعور الى مفهوم ان الغرب هو مركز العالم وان الحضارة الغربية هي حضارة الرجل الابيض والعرق الافضل ثم (تبادرت الى سطح الوعي الاوربي مركزية قائمة على هذا الاساس وعليه ظهرت ثنائية الانا والاخر، الانا المتفوق والاخر المتخلف)[2] وكان هذا الشعور يغذي خلفية الاستعمار الحديث الذي تحرك في الفرصة المناسبة لتمزيق العالم الإسلامي وتقسيمه بين الدول الأوربية ومع بداية القرن العشرين دخلت الجيوش الغربية الأرض الإسلامية واخضعت المسلمين للاستعمار المباشر وعندها صحا المسلمون وتعرفوا على الغرب أكثر من ذي قبل (الغرب الجديد الذي جاء الى قرار عقر دار الإسلام ليخضع افاقه الى مركزيته، فكان الصدام

---

(١) انظر: صدام الحضارات اعادة صنع النظام العالمي، صموئيل هنتغون، ترجمة طلعت الشايب، ص٣٥.

(٢) الغرب والاسلام، د. رسول محمد رسول، ص١٠.

بينه وبين الإسلام داخل ديار الاسلام ذاتها)[1] وكانت هذه الحركة الاستعمارية تقف على أرضية ايدلوجية مستمدة من خلفية الحروب الصليبية إذ تبرر للغربي رغبته في السيطرة على الشرق على اساس تحقيق المجد لأمة الصليب كما كان الصليبيون يستنهضون الهمم لمساعدة (المؤمنين في جيوش الرب)[2].

وعلى هذا الاساس بدأ الغرب يدرس الشرق من جديد وعاد اليه يتأمل تاريخه وتراثه واسباب قوته وتحقق نمو المعرفة بالشرق وبالاسلام عن طريق الدراسات الاستشراقية وظهرت نظريات ومفاهيم تشكل اطارا ايديولوجيا لفهم الشرق من الغرب الذي وظف الديانة المسيحية من جديد لزيادة فاعلية احكام القبضة الغربية على الشرق ثم تطورت هذه المعرفة الاستشراقية وفق تطور المفاهيم الغربية للحياة في داخل المجتمع الغربي وكان هذا التطور المعرفي يتكيف مع العقل الغربي لكي يتم اقناع الرأي العام الغربي بعملية اقصاء الاخر الشرقي المتخلف الذي يملك الثروة ولا يملك الحكمة، فكانت القراءة الغربية تقرأ الاسلام في الدراسات الاستشراقية على وفق المركزية الغربية والقراءة الامبريالية، ومع مراعاة العقل الغربي في عملية الاقصاء هذه كانت القضية تعرض على وفق مفاهيم تبريرية استطاعت ان تجند بعض المفكرين العرب الذين اعجبوا بالنموذج الغربي وحاولوا محاكاته في نمط وطريقة عيشه فولدت هذه الحالة عند هؤلاء تحولا ثقافيا او اغترابا عن الذات.

وعندما دخلت جيوش الغرب عرضت على المسلمين انها لم تأت لغرض هيمنة الغرب وانما جاءت لتحرير الشرق كما قال الجنرال مود للعراقيين (جئنا محررين لا فاتحين) وكانت هذه الجرعة التضليلية لضمان عدم تعرض جيوش المستعمرين لمقاومة الشعوب الاسلامية وقد استخدمت الجيوش الصليبية في

---

(١) المصدر السابق، ص١١.

(٢) ماهية الحروب الصليبية، ص١٣١.

حركتها الاولى الاسلوب نفسه فقد ذكر ابن الاثير (ان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب وصاحب دمشق بأننا لا نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم لا نطلب سواها مكرا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب انطاكية)[1].

وقد ادرك الغرب من خلال قراءته للاسلام بأن الاسلام لا يمثل دينا بالمعنى الغربي للدين وانما هو قوة حضارية فاعلة ومؤثرة تمتلك القدرة على الانبعاث المتجدد عند كل فرصة تسنح له بالظهور كما وان هذا الاسلام (لا يقف عند حدود تعليم العبادات والبكاء الى الله للخلاص من هذه الدنيا وايداع الروح الى ربها سالمة عن طريق الشهادة وهو لا يقف عند حدود التنوير التراثي للتجربة العبادية او التذكير بعظمة الدين الاسلامي انما يقف ويستأنف ليعود الى سيوف المسلمين في القرن الاول الهجري الى سيوف الصحابة التي عاضدت يد الرسول محمد ﷺ لإحقاق الحق في الدنيا وتحقيق موعد الظفر برضى الله تعالى)[2]. ويملك الاسلام الفاعلية الحضارية في قوته على تحريك مكونات البناء والعمل وبعث الروح الايمانية العلمية التي تجمع بين الإيمان والعلم، بين الإيمان والقدرة على تسخير الأرض وتعميرها، وبين الاحاطة بالسنن الاجتماعية والنفسية والسنن الكونية وامتلاك ناصية العلم التي تمكن الإنسان وتجعله سيداً في عالم الوجود مع ارتباطه بمنظومة القيم التي تجعله مؤهلا لوظيفة خلافة الله في الأرض إذ كانت هذه الخلافة في المشروع الالهي لتكريم الإنسان ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3]، واستنادا الى هذه القراءة المدركة لخطورة الإسلام ادخل الغرب الإسلام في برنامج العداء الاستراتيجي وتمت صياغة نظريات الاستعداء من خلال استحضار تاريخ الصراع الطويل بين

---

(١) ماهية الحروب الصليبية، م.س ، ص١٢٨.

(٢) الغرب والاسلام، م.س، ص١٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٠.

الإسلام والغرب وكما (كانت الحروب الصليبية صداما عسكريا ومواجهة حضارية طويلة مضنية بين الشرق العربي الاسلامي والغرب الاوربي الكاثوليكي)[1]. عاد الغرب هذه المرة بصورة اخرى وهي صورة الاستعمار المباشر وكانت هذه العلاقة العدائية تأخذ صورا مختلفة وبما يتناسب مع الاوضاع العامة التي تسود العالم (وقد اعتاد الغرب ان يتحين الفرص ويصطاد الافكار وينضد الايديولوجيات المرحلية ليصل بها الى حالة التصارع الحضاري او الثقافي، ان المهم والاساس بالنسبة للغرب هو مصالحه الاقتصادية وتأمين احتياجاته المادية لحياته لا اكثر اما الشعوب الاخرى فلتذهب الى الجحيم)[2].

ولذلك عندما وجد الغرب استهلاك فلسفة الاستعمار المباشر تحول الى نمط جديد في التدخل في شؤون العالم الاسلامي لضمان استمرار نهب الثروات وبقاء الشرق رهينة تحت الهيمنة الغربية عن طريق التحكم غير المباشر في اوضاعه الداخلية فعمد الى زراعة الفتن والمشاكل الطائفية والعرقية والخلافات السياسية واستخدامها كورقة ناجحة في استهلاك واستنزاف طاقات الأمة واشغالها عن المواجهة المباشرة للغرب، واخذ يطور هذا العدو الماكر وسائله لزيادة فاعلية الهيمنة الغربية على العالم الإسلامي وكانت العقود الأخيرة من القرن العشرين تشهد تصعيداً للخطاب الغربي ضد الإسلام تمثلت في المواجهة الإعلامية التي تبناها الإعلام الغربي ضد الأصولية إذ حاول الإعلام من خلالها ان يصور الاسلام لدى الرأي العام الغربي بأنه عبارة عن جنس ودماء وتعصب وتخلف وبربرية، وهكذا رسم الاعلام الغربي صورة المسلم الاصولي الذي يريد العودة الى اصوله الدينية مستعيراً صورة الحركات الاصولية الغربية المرتبطة بمرحلة الصراع بين الكنيسة والعلم . ومع فشل هذا التشويه للإسلام

---

(١) الغرب والإسلام، م.س، ص٨٦.

(٢) الغرب والاسلام، م.س، ص٨١.

ظهر الإسلام كتحدٍ للحضارة الغربية في داخل بنيتها وتكوينها إذ ادى نمو الوجود الإسلامي داخل المنظومة الاجتماعية الغربية الى ظهور هاجس الخوف من الإسلام في داخل الحضارة الغربية ويؤكد هنتغون (ان الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك)[1] من هنا حاول منظرو السياسة الغربية وبتحالف استراتيجي مع اليهودية العالمية صياغة مفهوم جديد لتصعيد المواجهة بين الاسلام والغرب فكان اختيار مفهوم الإرهاب مناسبا لبداية الهجوم على الإسلام وبتنسيق دقيق بين السياسة والايدلوجية بعد تفكيك الاتحاد السوفيتي تم تدشين نظام القطب الواحد اوما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي جرب اول الية لعمله باعلان الحرب الشاملة ضد العراق فقد استخدم هذا النظام اكثر أنواع الأسلحة التي يملكها الغرب فتكا لتدمير مظاهر الحياة الانسانية والمجتمع المدني ثم اتبع هذه الحرب العسكرية حصارا شاملا في محاولة لإخراج العراق من دائرة العصر واعادته الى ما قبل عصر النهضة الصناعية. (وما حدث عام ١٩٩١ حين شنت القوات العسكرية الاطلسية حربها الشعواء المدمرة ضد العراق حضارة وشعبا كان نتاجا لقصدية سياسية استراتيجية غربية في المنطقة)[2] وما حدث في العراق وما زال يحدث في انحاء العالم الاسلامي انما يعبر عن اصدق صورة لفقدان العالم الغربي اي ارتباط بالقيم الانسانية. هذه الصورة الكالحة لحضارة الغرب وصلت ذروتها في تطور المفاهيم السياسية من الثنائية القطبية الى احادية القطب الواحد او النظام العالمي الجديد ثم توجت بالعولمة التي تعني بموجب ظهوريتها الراهنة انها ليست سوى امركة للعالم. وتحاول العولمة الغاء سيادة الدولة وذلك بالغاء القيود القانونية على الاقتصاد وحركة رأس المال وضمان حرية انتقال السلع ورواج اليات السوق ولكن هذا

---

(١) الغرب والاسلام، م.س، ص٨١.

(٢) الغرب والاسلام، م.س، ص٨٦.

سيؤدي الى حالة جديدة لم يكن منظرو العولمة يتوقعونه او يضعونه في حساباتهم وهي انتفاع مرتكبي الجرائم متعدية الجنسيات والمافيا والجريمة المنظمة من هذا الالغاء وقد اشار تقرير مجموعة خبراء سنة ١٩٨٩ الى هذه الحقيقة فقد ذكر التقرير (ارتفاع حجم المبيعات في السوق العالمية لمادة الهروين حتى عام ١٩٩٠ الى عشرين ضعفاً اما المتاجرة بالكوكايين فقد ارتفعت الى خمسين ضعفاً ومن هو قادر على المتاجرة بالمخدرات يستطيع بطبيعة الحال المتاجرة بكل شيء، كما ذكر احد موظفي الانتربول ان مصلحة التجارة الحرة هي في مصلحة مرتكبي الجرائم)[١] ويحذر بطرس غالي من اثار العولمة بقوله (ان كوكبنا يخضع لضغط تفرزه قوتان عظيمتان متضادتان العولمة والتفكك)[٢] وبذلك يصل العالم الى حافة الهاوية وتكون نهاية التاريخ فيه كارثة كوكبية ولن تكون نهاية التاريخ كما تصورها فوكاياما على انها انتصار للقيم الليبرالية التي هي ثمرة الحضارة الغربية، بل ستكون نهاية التاريخ عودة بالمجتمع البشري الى عصر القرون الوسطى وظلامها الحالك فقد اشارت دراسات العولمة الى ان ٢٠% من السكان في العالم لن يتمكنوا من العيش بسلام مقابل ٨٠% يمثلون السكان الفائضين عن الحاجة الذين لن يتمكنوا من العيش الا من خلال الاحسان والتبرعات)[٣]، وهذه الثمرة المرة هي ثمرة الخطيئة الامريكية التي تملك الارض اليوم حيث وضعت اليات النظام العالمي الجديد والعولمة كل مفرداتها لتأكيد القدرة الامريكية على تمثيل الحضارة الغربية في

---

(١) فخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارولد شومان، ص٣٦٨.

(٢) فخ العولمة، م.س، ص٣٦٨. وبطرس غالي سياسي مصري قبطي كان وزيرا لخارجية مصر في عهد انور السادات ثم اصبح امينا عاما للامم المتحدة في ثمانينات القرن الماضي.

(٣) نظر: افخ العولمة، م.س، ص٩.

مرحلتها الاخيرة وبهذا الصدد يذكر هنتغون (ان بقاء الغرب يتوقف على الامريكيين بتأكيدهم على الهوية الغربية)[1] وتشير محاور نظرية هنتغون الى ان الحضارات المتعددة التي يتكون منها العالم وهي الصينية اليابانية الهندية الإسلامية الغربية الإفريقية امريكا اللاتينية هذه الحضارات الذي يحكم العلاقات بينها هو الصدام (هذا الصدام ينطلق ويعود بالاستناد الى الثقافة او الى الهوية التي هي هويات حضارية وهي التي تشكل انماط التماسك والتنافر والتحلل والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة)[2] وهذه النظرة تختلف عن نظرة فوكاياما الذي يرى بأن انهيار القطبية الثنائية بانهيار الاتحاد السوفيتي كاطار للشيوعية ادى الى انفراد الرأسمالية والليبرالية الغربية بالعالم وهو ما يمثل نهاية التاريخ او يعتبره حاليا نشهد نهاية التاريخ بما هو النهاية الغربية للتطور الايديولوجي للبشرية وتعميم الليبرالية الغربية على مستوى العالم كشكل نهائي للحكومة الانسانية وبذلك تكون خاتمة الحضارات هي حضارة الرجل الأبيض حيث يكون خاتم البشر (the last man). وهذا الرأي يعبر عن جهل بالسنن التي تحكم حركة التاريخ إذ اثبت القرآن واحداث التاريخ بانه من المستحيل استمرار انفراد قوة بشرية تحكم الأرض مهما كان انتماء هذه القوة حتى لو كانت تمثل الحقيقة او الحق وذلك لسبب واضح وهو حالة الضعف وحب الذات الملازمة للإنسان وارتباطه القوي بمصالحه حتى لو كانت البداية صحيحة والتجربة الاولى ناجحة ولكن بعدها تبدأ عوامل الضعف واتباع الاهواء والتعصب تفعل فعلها فتظهر سنة التدافع لكي تزيح الاضعف وتمكن الاقوى، ويؤكد القرآن الكريم على هذه السنة بانها لمصلحة حركة الحياة الانسانية وعلى المؤمنين ان يتفاعلوا معها ويستثمروها لمصلحة قضيتهم وانها تحفز المسلمين

---

(١) الاسلام والغرب، م.س، ص٧١.

(٢) الاسلام والغرب، م.س، ٧١.

للعمل على تجاوز اخفاقاتهم في مرحلة الاستضعاف وعلى المحافظة على تماسكهم في مرحلة التمكين وبذلك يقول الحق تعالى﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1].

ومن هنا تبدو لنا افكار فوكامايا افكاراً سطحية تعكس فراغاً انسانياً متجردا عن الهوية القيمية وعن مقومات الفطرة السليمة وتبدو كذلك انها مستدرجة نحو الوعد الوهمي الذي يحلم به الغربي في الوصول الى دولة الرفاهية الابدية المستغرقة في ملذاتها وشهواتها هذه الدولة التي تهمين على العالم اليوم على وفق ايديولوجية الشيطان – بأمنية وهم السعادة – قد غدت تهديدا للمستقبل واذا كانت نظرية فوكامايا تخالف نظرية هنتغون في تفسيرها لحركة التاريخ الا انها تتفق معها بانها تعكس الغرور الذي يملأ نفس الغرب في استعلائه واعتداده بانويته المتسلطة ورغبة في تدمير الاخر واقصائه كليا عن المشاركة في الحياة الانسانية وعلى هذا الاساس فان فلاسفة الغرب يعدون الاصطدام بالاسلام امرا لا مفر منه وفي اطار نظرية التصادم الحضاري يعتقد هنتغون (ان اخطر صدام سيكون بين الحضارة الغربية وبين الحضارة الاسلامية والصينية)[2] لأسباب منها النمو السكاني للحضارة الصينية والاسلامية والتطور الاقتصادي الاسيوي والطفرة النفطية وزيادة الثروة وظهور قوة البترواسلام ومن الاسباب الاخرى في نظره هو قدرة الصحوة الاسلامية على تجديد الثقة بالاسلام والحضارة الاسلامية والقيم المتميزة التي تجعل المسلمين يشعرون بانهم يملكون بعدا انسانيا لا يملكه الاخر الغربي..وكل هذه العوامل تدفع الغربي للانحياز الى

---

(١) الحج: الآية ٤٠.

(٢) الغرب والاسلام، م.س، ص٧٥.

هويته الثقافية ورواسبه التاريخية لأنه لا يستطيع الوصول الى قناعة تسمح له بتقبل الاخر او الاسلام لأن عقل الغربي تمت صياغته على وفق عوامل الصراع عبر التاريخ فكان قرار قبوله ازاحة الاسلام قرارا لا يقبل النقاش. وكانت هذه القناعة التي سيطرت على العقل الغربي سببا في تحفيز المسلمين الى العودة الى هويتهم كذلك، وبدأ المسلمون يتوجهون نحو الاسلام كمصدر للهوية والمعنى والاستقرار والشرعية والقوة والامل، والصحوة الاسلامية تعبر عن (حركة فكرية ثقافية اجتماعية سياسية عريضة منتشرة في معظم انحاء العالم العربي، وهي تيار عام وليست تطرفا متغلغلة وليست منعزلة كما انها في نظرتها الى الاخر تجسد قبول الحداثة ورفض الثقافة الغربية والعودة الى الالتزام بالاسلام كدليل حياة في العالم الحديث)[1].

من هنا فأن تحدي الحضارة الغربية والصراع ضد الاسلام والعولمة الامريكية التي اعلنت الحرب على الاسلام باسم الارهاب من خلال تحالف شيطاني طاغوتي ضم رموز الظلم والخبث والجبن (امريكا وبريطانيا وكيان اليهود الممسوخ) وتحالف معهم منافقوا الامة من اهل البدع والفرق الضالة والباطنية. كل هذا التآمر الخبيث يدفع المسلمين الى تأكيد ارتباطهم بنبيهم وقرآنهم والتمسك بهويتهم والتكاتف فيما بينهم فاذا عاد قيصر فان محمدا ﷺ سيعود بأذنه تعالى وصدق العاملين واخلاص المؤمنين وهذا الذي نؤمن به يؤمن به اعداؤنا فإن اليهود يؤمنون بعودة الاسلام ولكنهم يحاولون تأجيل هذه العودة لأنها عودة الى خيبر وذكرياتها التي فيها نهاياتهم ويتوقع قادة الغرب استقراء للمستقبل وبناءً على قراءة التاريخ التي تؤكد لهم بأن الاسلام هو الحضارة الوحيدة التي ستكون مرشحة لازاحة الحضارة الغربية فيرجح هنتغون الرأي (بأن اواخر القرن العشرين شهد انبعاثا او صحوة دينية في انحاء

---

(١) الغرب والاسلام، م.س، ص٧٧.

العالم..ونظرته الى المستقبل ترجح انتصار الاسلام اذ على المدى الطويل سينتصر محمد ﷺ[1].

ان المقارنة التاريخية بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية تؤكد ان الاسلام انزله الله تعالى ليحكم الناس بالقسط، وكلما كان الاسلام مهيمنا كان الانسان يتمتع بحياة آمنة عادلة وهذا الحال يشمل جميع الناس حتى غير المسلمين وكلما تراجع الاسلام وخضعت الارض لغير سلطان الله انقلبت الموازين وسادت المظالم وضاقت الحياة، وفي ظل مرحلة سلطة الاسلام في عصر الرسالة والراشدين وعصر الحضارة الاسلامية كانت البشرية في اسعد عصورها إذ انتج الاسلام اعظم انجازاته الحضارية في عصره في ظل قيم وتعاليم الاسلام ، وعندما تراجع المسلمون عادت المظالم وسالت الدماء وتهدمت المنجزات الحضارية وعاش الانسان غربة جديدة في ظل سطوة الحركة الصليبية حتى عاد الاسلام على يد صلاح الدين الايوبي الذي اعاد معاني الحرية وانسانية الانسان ولكن سرعان ما تراجعت امة الاسلام واستحكمت فيها الاهواء وفتحت الابواب لعودة قوى الظلم في ظل العصر الحديث منذ حركة الاستعمار حتى صراع القوى العالمية الكافرة واطماعها في بلاد الاسلام وانتهاء بالعولمة التي كانت انعكاسا لرغبة مكبوتة في الغرب وعندما ظهرت العولمة عبر الغرب عن حقيقة هذه الرغبة في فرض نمط حياته على الاخر بالقوة والهيمنة الفكرية التسلطية لكي يشكل عقلية الاخر على وفق استجابة استسلامية كي يتقبل بعدها الهيمنة الغربية على ثرواته ولذلك لم يتردد الغرب في استخدام القوة العسكرية لفرض عولمته وكما يقول د.مصطفى محمود (ان العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته وانتمائه للدين

---

(١) الغرب والاسلام، م.س، ص٧٧.

والاجتماع والسياسة بحيث لا يبقى منه الا خادم للقوى الكبرى)[1] والعولمة كايدلوجية صادرة من الغرب تمثل فلسفته ونظرته للحياة والوجود وتمثل احد اوجه الحضارة الغربية في احدث مراحلها، واذا كانت كذلك فإن على المسلمين ان لا ينتظروا منها حلا لمشاكلهم او تغييرا يصب في مصلحتهم، لأن الغرب عندما طور مفهومه للحياة خرج بمفهوم عولمة الاخر لضمان استمرار هيمنته وللاطمئنان على مصالحه ولما كانت هذه المصالح انعكاسا لمكونات الحضارة الغربية سياسيا وايديولوجيا وتعبر عن الواقع الغربي وطموحاته فان هذه المصالح تتناسب مع قوة النظام السياسي المهيمن على الحضارة الغربية وعندما كان عصر الاستعمار عصرا بريطانيا كانت اعلى نسبة فيه لصالح بريطانيا وعندما ظهرت العولمة في العصر الامريكي كان (هدفها تكريس الهيمنة الامريكية ومحو الهويات الثقافية)[2].

واذا كانت العولمة تمثل اعلى نقطة لقوة الرأسمالية او الحضارة الغربية المادية في مفهومها الاستراتيجي والايديولوجي، فأن على المسلمين ان تكون استجابتهم لهذه العولمة استجابة عميقة واعية تدرك خلفية القرار الغربي في ثوابته ومتغيراته والياته الفاعلة ومنطلقاته التي يصدر منها، فإذا استطاع المسلمون ان يستوعبوا هذه الحقائق وان كان هناك شك في قدرة المسلمين اليوم على استيعاب ما يحدث من تسارع في خطوات تهيئة العالم للخضوع للعولمة الامريكية المتحالفة مع اليهودية الصهيونية ولكن لابد من العمل على تحليل عناصر ومكونات العولمة لكي لا يستدرج المسلمون نحو الصراع مع الغرب في معركة غير متكافئة تحقق فيها الالة العسكرية الغربية نصرا سهلا على امة الاسلام يكون مصدرا من مصادر الهام الاعلام الغربي في عملية صد الناس

---

(١) ظاهرة العولمة، م.س، ص٦٧.

(٢) ظاهرة العولمة، م.س، ص٦٨.

عن دين الله وفتنة الناس في الارض والذي يبدو ان الغرب قد نجح في لعبة الاستدراج واعلن عن حربه على الاسلام باسم الارهاب وحفز الرأي العام الغربي وبالتحالف مع اليهودية العالمية على استحضار العداء التاريخي الصليبي ضد الاسلام ولكي ينسف دور الاسلام في بلاد الغرب ويبرر عملية اعلان الحرب على بلاد الاسلام وتدمير بناها التحتية ومحاصرتنا ثقافيا وصناعيا وحضاريا في محاولة لخنق الامة الاسلامية وتدمير قدرتها على البناء الحضاري.

لذلك على المسلمين اليوم ان يستعيدوا الثقة بالاسلام وان الله لن يتخلى عن دينه وكتابه وبنيه، وعليهم ان يحافظوا على النوع الاسلامي ويخففوا من حدة الخطاب العدائي لكي يأخذوا فرصة اعادة البناء الداخلي مع التكيف للتعايش مع الاخر على اساس استقلال الهوية العقائدية والثقافية والمشاركة الانسانية المبنية على الاحترام المتبادل مع اشعار الاخر بالقدرة على المصابرة والاستعداد والتضحية من اجل ان تبقى وتيرة الاستعداد للشهادة والموت في سبيل الله على فاعليتها في نفوس المؤمنين ومحاولة الاستفادة من الجوانب الايجابية من العولمة التي اتاحت الفرصة للانسان ان يستفيد من منجزات الحضارة الغربية في مجال العلوم والتكنولوجيا، وعلى المسلمين ان لا يتوقفوا من الاقتراب من الاخر على الاسس التي وضحها القرآن الكريم وان يعلو الجانب الحضاري للقيم الاسلامية التي جسدها الرسول الكريم ﷺ وتحققت في واقع المسلمين في جيل الصحابة من معاني الاخوة واحترام الانسان والحرية والقيم والاخلاق وغيرها من القضايا التي يفتقدها الغرب ويعاني بسبب فراغ المجتمع منها مما يشكل نقطة ضعف واختراق في بنية الحضارة الغربية تمنح المسلمين فرصة التأثير الايجابي في الحياة.

صراع اليهود ضد الإسلام :

لقد تحدث القرآن الكريم بتفاصيل دقيقة حول تاريخ بني اسرائيل وفي سورة البقرة اطول سورة في القرآن الكريم وسور اخرى متابعة لمواقف بني اسرائيل مع انبيائهم ويستطيع الباحثون بتحليل معطيات هذه السور القرآنية الخروج بنتائج دقيقة لتحديد سمات الشخصية اليهودية ومع الكم الهائل من المعلومات التي اوردها القرآن الكريم حول بني اسرائيل وتاريخهم بالامكان تأسيس مدرسة اجتماعية انثروبولوجيا متخصصة في انثروبولوجيا الشخصية اليهودية . ان وقفات القران الكريم مع بني اسرائيل جاءت لتعبر عن تحذيرات ربانية للامة الاسلامية من بني اسرائيل لكي لا تكرر الامة الاسلامية مسار بني اسرائيل المادي ولا تقع في مستنقع الرذيلة اليهودي.

وكذلك يمكن الافادة منها في تحديد الخارطة السياسية والاقتصادية وخلفية الصراع الايدلوجي الذي يستند الى الرؤية المعاصرة لمنظري الصراع العولمي حيث تكون القضية الصهيونية فيه هي مركز الصراع وهي المحرك الحقيقي لعناصر اللعبة العولمية. وعندما تعرض الانثروبولجيا اليهودية على انها تمثل اختيار الله لدم شعب بني اسرائيل النقي وتعرض ثقافة العولمة هذه القضية باسلوب المدافع عن احتمالية تعرض هذا الشعب الى ابادة من قبل انثروبولوجيا اسلامية متوحشة وكما وصف رئيس هيئة الهجرة الفرنسية (جان كلود باريو) الاسلام بانه (اكثر الاديان جورا وانغلاقا في الوجود واتهم المسلمين بانهم ايقظوا شياطين الكراهية والغباء)[1].

كما وصف رئيس اسرائيل السابق هيرتورغ في كلمة له امام البرلمان البولندي الاصولية بقوله: (ان داء الاصولية الاسلامية ينتشر بسرعة ويمثل

---

(١) الاصولية الاسلامية، القالب المطبوع عن الصانداي تلغراف ١٩٩٢/١/٥، د. سيد مطيع الرحمن، ورقة مقدمة الى ندوة من اجل عالم عادل وتقدم دائم، بيت الحكمة ٢٠٠٢م.

خطرا ليس فقط على اليهودي بل على العالم اجمع)[1] ان عرض القضية على وفق هذا المنظور يؤدي الى تصور ان العالم على شفا حرب قبلية او حرب تنتمي الى جذور تكوينية تاريخية متأسسة على التعصب للجنس والعرق، وهذا التزييف يؤكد الارتباط المصلحي بين القوة الامريكية المهيمنة ودوائر اللوبي اليهودي في العالم وهذا التحالف المصلحي يعكس ايضا الارتباك والتشويش والضعف في الانتماء التاريخي والجذور التاريخية للمجتمع الامريكي بحيث يتمسك صانعو السياسة الامريكية بمصلحة خالية من القيم وغير معبرة عن امة عريقة ومتماسكة (وهي مصلحة شخصية ضيقة ، بل هي ليست مصلحة امة بل مصلحة نخبة معينة في امة مشكوك في سمة انتمائها الى خصائص انثروبولوجية محددة كما هو حال الامة الامريكية)[2].

وعندما نعود الى الشخصية اليهودية نجدها رصيدا لتراكم حقد تاريخي واستضعاف متكرر يؤدي الى كبت مشاعر الكراهية والى التشبث بالمال والحياة تحت اي موقع وفي اي صورة (وان هذه الاقلية العدوة لمقدسات وتاريخ الشعوب لامر ما. قد انزلت عليها ضربات ثقيلة في التاريخ.. وان هذه الفئة الشريرة قد شدت ازر خبثها شدا محكما بمنظماتها التي احدثتها في القرون الاخيرة، فكانت البشرية تتمرغ في عجز تجاه المصائب والفتن التي يقومون بها دون اكتراث او خوف من احد)[3].

---

(١) الاصولية الاسلامية، م.س.

(٢) جي باسكال زاكاي، لماذا تبدو العولمة مخيفة، عن اياد القزاز، صورة العرب والاسلام في الكتب المدرسية لعلم الاجتماع في الولايات المتحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٧٨، ٢٠٠٢، ص٦٠.

(٣) الخطر المحيط بالاسلام (الصهيونية وبروتوكلاتها)، الكاتب التركي جواد رفعت الطليغان، ترجمة وجدي عز الدين، ص١٩٢.

وعندما نتابع تاريخيا العداء اليهودي للاسلام والمسلمين نريد ان نؤكد اوضاعنا المعاصرة ما هي الا امتداد لصراع وعداء تاريخي بدأ عند بعثة الرسول ﷺ عندما حاول اليهود القضاء على دعوة الاسلام منذ بداياتها الاولى عندما قاموا بتحريض سادة مكة وكبرائها ضد رسول الله ﷺ وفي المدينة تحالف اليهود مع المنافقين وبدؤوا يكيدون للاسلام، وفي بني النظير قرب قرية قباء في المدينة حاول اليهود اغتيال الرسولﷺ عندما كان في زيارة لهم وبعد ان اعلمه الله بمؤامراتهم الخبيثة خرج رسول الله ﷺ وامر باجلائهم عن المدينة، وسجل القرآن الكريم التحالف المصلحي بين اليهود والمنافقين في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾[1].

واستمرت محاولاتهم ومكائدهم ضد الاسلام وتكررت محاولات اغتيال الرسول ﷺ وايذائه ومن هذه المحاولات قيام امرأة يهودية بتقديم الطعام المسموم للنبيﷺ وعندما اكل لقمة من الطعام قال ﷺ : (ان هذا الطعام يخبرني انه مسموم)[1]، فاخرج اللقمة من فمه والقاها، ومن المحاولات الاخرى ما قام به لبيد بن الاعصم بعمل سحر للنبي ﷺ حتى انزل الله تعالى يخبره بهذا العمل وانزل المعوذتين (الفلق والناس) لتحصين النبي ﷺ والامة من السحر والخبث اليهودي[2]. ولم تتوقف مؤامرات اليهود ضد الاسلام حتى بعد وفاة النبي ﷺ .

---

(١) الحشر: الآية ١١.

(١) في صحيح البخاري: في خيبر (اهديت لرسول الله شاة فيها سم) ٥/ ١٤١، حديث رقم (٤٢٤٩)، وقصة الطعام المسموم مرويه في البخاري وابن هشام، ينظر: الرحيق المختوم، ص٣٦٢.

(٢) تراجع كتب السيرة، اذ استفاضت اخبار كيد اليهود للرسول ﷺ وللاسلام .

وفي كل مرحلة كانوا يتعاونون ويتحالفون مع اكثر القوى الطاغوتية حقدا على الاسلام والمسلمين ففي مكة تعاونوا مع كبراء قريش وفي المدينة تعاونوا مع المنافقين وفي الخلافة الراشدة تعاونوا مع المجوسية الحاقدة عندما التقت احقاد المجوس الذين تحطمت امبراطوريتهم بأيدي الجيل القرآني الذي تربى في عهد النبوة على توجيهات الرسول ﷺ مع احقاد اليهود واثمر هذا التعاون اول عملية اغتيال لامام المسلمين عمر بن الخطاب ﷺ على يد المجوسي ابي لؤلؤة الفيروز فكانت الخطوة الاولى لزعزعة الدولة الاسلامية ثم استمر الكيد والتآمر خلف الكواليس حتى ظهر يهودي ماكر استطاع بدهاء وخبث ان يستغل الضعفاء والعناصر الفوضوية التي لم يستقر الايمان في قلوبها فاثار العوام من خلال تبني بعض الشعارات الاصلاحية لاصلاح اخطاء الخلافة ورفع المخالفات الشرعية بزعمه وزعم من تأثر بافكاره، هذا اليهودي هو عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء وقد أدخل هذا اليهودي بعض العقائد الباطنية الى الاسلام عن طريق ادعائه حب اهل البيت والاسلام، ويقول الشهرستاني عنه (زعم ان عليا لم يمت ففيه الجزء الالهي ولا يجوز ان يستولي عليه وهو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق بسمته وانه سينزل الى الارض بعد ذلك فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا)[1].

وقال عنه ابن عساكر (كان يهوديا فاظهر الاسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الائمة - اي ولاة الامر- ويدخل بينهم ودخل دمشق لذلك)[2].

ومن هنا بدأت الحركة الباطنية مسيرتها التآمرية على الاسلام وذلك عندما وجد اعداء الاسلام بانه لا يمكن مقاومة المد الاسلامي فاختاروا طريق تدميره

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص١٧٤.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران، ج٧، ص٤٢٧.

من الداخل فاخذوا يعلنون الاسلام ويعملون على تقويضه من الداخل (والافكار الباطنية تبلورت ايام المأمون على ايدي فلول المجوسية المنهزمة)[1] وتشعبت الى فرق تعددت بها السبل تربطها غاية واحدة هي القضاء على الاسلام وشريعته الخالدة.

وكان ابن سبأ ذكيا واستطاع بذكائه ان يضم مجموعات من الحاقدين الباطنيين ومن اصحاب الشهوات من الفاسقين والطامعين فأسس بهم منظمات سرية في المدن الاسلامية واستقر في مصر لتأمين النصر في الضربة التي كان يريد انزالها على الاسلام وقام بالوعظ بين العوام تحت غطاء عالم اسلامي وبهذه الصورة لقح افكاره الخبيثة الى الناس ومنها عقيدتي (الرجعة) و (الوصاية) وعندما تم له ما اراد من تهيئة الاجواء للثورة على الخلافة حرك اتباعه في المدن الاسلامية باتجاه المدينة المنورة وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ .

(وان مسؤولية قتل عثمان ﷺ تقع على عاتق اليهودي المرتد ابن سبأ واعوانه قبل كل انسان اشترك في هذه الوقعة الدموية)[2]، ومع ادراكنا لطبيعة الظروف المعقدة التي افرزت الحدث وان عوامل عديدة ساهمت في صياغة الفتنة وكل الاحداث المأساوية التي مرت على امة الاسلام، ولكن هذا لا يعني اننا نتقبل الحدث بصورته الظاهرية التي لا ترى العمق والقوى الخفية التي تحرك الاحداث ولابد من المحاولة لتحليل الاحداث وربط نقاط الحدث بموجب العوامل المؤثرة فيها فعندما نقرأ الفتنة ندرك ان هناك اخطاء قد حدثت وان الناس والمجتمع كان مهيأ للانفعال والاستجابة للفتنة بسبب ضعف الوازع الديني والنزوع نحو الدنيا والاستمتاع بملذاتها والحرص على المناصب وغيرها من

---

(١) حقيقة البابية والبهائية، د. محسن عبد الحميد، ص٢٤.

(٢) الخطر المحيط بالاسلام، م.س، ص٥٠.

العوامل وكل هذا لا يمنع من رصد الحركة الخفية للقوى اليهودية او المجوسية او الصليبية التي تحاول ان توظف الاحداث وتدفع باتجاه نسف الاستقرار السياسي والحضاري لدولة الاسلام، وهكذا يمكن ان نقرأ نقاط الاختناق والتدهور في تاريخ المسلمين مع العوامل الموضوعية هناك عناصر مقحمة على الحدث تملك القدرة على توجيه الحدث باتجاه الاضطراب والفوضى لتكون المحصلة في مصلحة قوى الكفر والردة، ومن الامثلة التي تؤيد هذه الرؤية ما ورد من اشارات تاريخية تؤكد وجود مستشار نصراني اسمه سرجون لمعاوية بن ابي سفيان ﷺ وهذا دليل على سماحة الاسلام وانفتاحه . وبقي مستشارا بعد وفاة معاوية ﷺ وتشير بعض المصادر التاريخية بانه كان من مؤيدي فكرة تولية يزيد بعد معاوية ﷺ ، وهو الذي اشار على يزيد بتولية عبيد الله بن زياد بدل النعمان بن بشير الذي كان واليا على الكوفة وكان يزيد عاتبا على عبيد الله فقال له سرجون: أرايت لو حشر لك معاوية كنت تاخذ برايه؟ قال نعم، فقال هذا رأي معاوية ومات عليه، وقد امر بهذا الكتاب فأخذ برأيه وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله(*) وعلى يد عبيد الله بن زياد حدثت مأساة الاسلام والمسلمين بأستشهاد الامام الحسين ﷺ، وكذلك ما ورد من اشارات تاريخية حول وجود مستشارين لخلفاء بني العباس (ابي جعفر المنصور وهارون الرشيد) وهؤلاء المستشارون قاموا بنهب ثروة الدولة وكونوا قوة رأسمالية قوية في داخل دولة الاسلام ومارسوا الظلم وصادروا حقوق الناس وما عائلة البرامكة ودورهم في سياسة الدولة في عهد الرشيد الا نموذجٌ لما ذكرنا، ومن الاشارات التاريخية كذلك اتخاذ الخليفة

(*) انظر: الكامل في التاريخ لابن الاثير، احداث استشهاد الامام الحسين ﷺ. ٣/ ٢٦٢ . ٢٦٨، اذ يذكر ابن الاثير: بان النعمان والي الكوفة عندما سمع بدخول مسلم بن عقيل الى الكوفة قال: اني لا أقاتل من لم يقاتلني وارسلت الكتب الى يزيد تؤكد عدم رغبة الوالي في مقاتلة شيعة الحسين عليه السلام.

عبد الرحمن الثالث في الاندلس مستشارا يهوديا يدعى (ابا يوسف حاسداي) وهذا اليهودي كان يدير امور الدولة، وكان لتدخل اليهود في الدولة العثمانية اثر واضح حتى انهم كانوا وراء اغتيال السلطان العظيم صاحب البشارة النبوية فاتح القسطنطينية السلطان محمد فاتح، وعندما كان علم الخلافة الاسلامية يرفرف على مشارف ايطالية قريبا من روما خاف الايطاليون من الفجيعة الكبرى ان تحل بهم فقاموا (باقناع طبيب السلطان اليهودي المرتد " قياسترو جاكوب " الذي كان يخفي يهوديته تحت اسم (يعقوب باشا لتسميم السلطان مقابل مائة الف دوقا ذهبا فقام اليهودي المذكور بخيانته المنكرة باعطاء السلطان سما بلون الماء شديد المفعول)[1] هكذا تم اغتيال اعظم سلاطين الدولة العثمانية وهو في الخمسين من عمره، ودخل اليهود وتغلغلوا في داخل الدولة العثمانية بصفة مستشارين واصحاب اموال واطباء ووضعوا يدهم على كافة مرافق اقتصاديات الدولة، واستخدموا النساء ايضا في عملية اختراق مؤسسات الدولة وقصة استير كيرا ودورها مشهورة وكانت هذه المرأة يهودية فاتنة جميلة تمكنت من النفوذ الى دائرة حرم السراي في الاستانة في اواسط القرن السادس عشر، ولعبت دورا هاما في سياسة الدولة العثمانية الداخلية والخارجية واصبحت ملتزمة لكافة كمارك الاستانة بارادة ملكية من السلطان سليمان القانوني.

وحصلت من خلال موقعها على الاموال الهائلة التي استخدمتها للرشوة والافساد، وقامت هذه اليهودية بادخال النقود المزيفة الى المالية بالرشوة مما ادى الى كشفها فادى ذلك الى هروبها وبعدها تم القاء القبض عليها وقتلها من المتضررين بعملها إذ قاموا بتمزيقها وقتلها شر قتلة[2].

---

(١) الخطر المحيط بالاسلام، م.س، ص٦٨.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٩٩.

واستمر تأثير اليهود وتدخلهم في شؤون الدولة العثمانية حتى وصل الامر الى محاولتهم استغلال اوضاع الدولة العثمانية في مراحلها الاخيرة من ديون ورغبة في ادخال الاصلاحات حتى عرضوا على السلطان عبد الحميد عروضا من اطفاء الديون ومنح الدولة المساعدات المالية من اجل الاصلاح مقابل السماح لهم بالاستيطان في فلسطين وشراء الاراضي هناك، فرفض السلطان عبد الحميد عروضهم رفضا شديدا وكانت نتيجته معروفة إذ تم عزله من قبل جماعة الاتحاد والترقي وهي الجماعة المريبة في ارتباطاتها مع اليهود والحركة الماسونية، وعندما نتابع الحركة اليهودية في التاريخ تتوضح لنا قدرة هؤلاء على الافساد والهيمنة والتحكم في سياسات الدولة وصناعة المشكلات وادخال الامم والشعوب في صراعات وفتن تؤدي بالنتيجة الى خدمة اهداف اليهود ومصالحهم في السيطرة على العالم، وعند البحث في مصدر اي مشكلة في العالم نجد ان لليهود دورا فيها مباشرا او غير مباشر ومن تصفح التاريخ خصوصا العصر الحديث وعصر النهضة الاوربية سوف يلاحظ بدون عناء صورة اليهودي المرابي المستغل خلف معظم الاحداث وتتلخص بروتوكلاتهم التي هي بمثابة الدستور العالمي للخطة اليهودية للسيطرة على العالم في التركيز على اهم الوسائل التي تمكنهم من بسط هيمنتهم واهمها ما يأتي:-

١. افساد الشبان معنويا عن طريق افساد الاخلاق.

٢. هدم الاسرة.

٣. تخريب حرمة المقدسات واسقاط الشخصيات المحترمة لدى الناس.

٤. دفع الناس باتجاه الاسراف الجنوني وحياة البذخ والترف.

٥. الهاء الناس بالالعاب والرياضة.

٦. زراعة الخلافات في الطبقات الاجتماعية.

٧. القضاء على الزراعة عن طريق تشجيع الصناعات الطفيلية.

٨. العمل على نسف الاستقرار المالي عن طريق الازمات الاقتصادية[١].

وهكذا يتواصل المخطط اليهودي للوصول الى تحقيق اهداف اليهود العالمية وقد استخدم اليهود شتى انواع الوسائل للوصول الى نقاط التأثير في الحياة وكانوا يتابعون مراكز القوة وينتقلون اليها ويقتربون منها، فتدخلوا في اوربا وانكلترا وفرنسا وتدخلهم في الثروة الفرنسية واضح لا يمكن اخفاءه حتى ذكر تور دي بين احد كبار المحررين لفرنسا ومن الشخصيات البارزة فيها بانه (باسم الانقلاب الفرنسي الكبير سنة ١٧٨٩ يحكمنا اليهود اليوم)[٢] وفي تاريخ امريكا الحديث استطاع اليهود ان يدخلوا الى امريكا عن طريق الاقتصاد ومشاريع الاصلاح والعمل على ربط الاقتصاد العالمي بالدولار وعندما حولوا الدولار من الذهب الى الورق النقدي تمكنوا من احكام السيطرة على اقتصاد العالم ويقول ويرنر سونبارت في كتابه (اليهود والحياة الاقتصادية، يبدو ان طراز الحياة الاقتصادية لامريكا الشمالية قد اسس من تخطيط اليهود..وبذلك نستطيع القول: أصحيح بأن الدول الامريكية المتحدة مدينة بكيانها لليهود؟ ومن المحتمل ايضا بأن ما نسميه بالامريكي اليوم هو روح اليهودي الخالص! ويقول المليونير هنري فورد في كتابه (اليهودي العالمي) بأن ٩٧% من بلدة نيويورك تملكها اليهود اليوم ولأجله يسمى اليهود نيويورك بـ (فلسطين الجديدة) والامريكيون ذوو القلوب الصافية يظنون بأن اليهود قد ذابوا في بودقة الولايات المتحدة واصبحوا من الامريكيين وقد اغفلوا بذلك الظن حيث لم يكن اليهود امريكيين في اي وقت ولا يكونون)[٣]. وهكذا سيطر اليهود على الاقتصاد الامريكي ومن ثم على الاعلام ثم القرار السياسي الذي تحول من الخلفية المسيحية الى الخلفية التوراتية

---

(١) انظر: الخطر اليهودي بالاسلام، م.س، ص١٥٨.

(٢) انظر: الخطر اليهودي المحيط بالاسلام، م.س، ص٢٨٨.

(٣) انظر: الخطر اليهودي المحيط بالاسلام، م.س ، ٢٨٨.

التلمودية بفعل التأثير اليهودي الصهيوني وتصف غريس هالسل التأثير التوراتي على العقل الثقافي والسياسي الامريكي في كتابها (النبوة والسياسة) بقولها (بعد عدة زيارات الى الارض المقدسة اردت ان استكشف اكثر نظام ايماني للمسيحيين وان اتعلم ما يعتقده الاخرون بشأن نهاية الزمن ، قرأت كتاب (اخر اعظم كرة ارضية) الذي بيع منه حوالي ١٨ مليون نسخة وظل على رأس لائحة الكتب الاكثر مبيعا خلال السبعينات من القرن العشرين وكان يباع منه اكثر من اي كتاب اخر باستثناء الكتاب المقدس)[١].

وهذا الكتاب من تأليف هول لندسي وهو عالم لاهوتي امريكي يتوقع فيه كاتبه نهاية العالم في معركة طاحنة تدعى هرمجدون وكان الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغان من اكثر الرؤساء ايمانا بهرمجدون فهو يؤمن مثل هول لندسي بأن الله قد قضى ان على هذا الجيل بالتحديد ان يدمر الكرة الارضية وتنامت هذه النظرية وامن بها مفكرون وساسة ورجال دين امثال جيري فالويل وجيمي سواغارت وبات روبرتسون واخرون وهؤلاء يؤمنون بأن اليهود لابد أن يمكنوا من تدمير معظم الصروح الاسلامية المقدسة في القدس وتذكر هالسل: (اخبرني اون عندما كنا في المدينة القديمة من القدس وهو ينظر الى قبة الصخرة، ان النبوءة الانجلية تقضي بأن على اليهود تدمير هذا الصرح وبناء معبد - هيكل - يهودي مكانه)[٢].

وبذلك تلتقي اليهودية مع التيار المسيحي الاصولي البروتستانتي للقضاء على الاسلام، والذي يفهم طبيعة القرار الامريكي وخلفيته يدرك بأن الاستراتيجية الامريكية هي استراتيجية لمصلحة اليهود وهذا يفسر ظهور شخصيات يهودية كانت تصنع السياسة الامريكية مثل هنري كيسنجر وغيره وعندما نقترب اكثر

---

(١) هالسل، غريس، النبوءة والسياسة، ص٩.

(٢) النبوءة والسياسة، م.س، ص١٥.

تظهر صورة العجوز اليهودية مادلين اولبرايت واخيرا وليس اخرا اليهودي المتعصب صاحب نظرية صدام الحضارات صموئيل هنتكون الذي عرض نظريته كايدلوجية عالمية لاعادة صناعة النظام العالمي الجديد .

وتتأكد هذه الرؤية عند دراسة الماركسية وتاريخ تكوينها وتأسيس دول الشيوعية وكيف لعب اليهود دورا واضحا في صناعتها واعادة تفكيكها بطريقة سيناريو التداعيات الجماهيرية وبعدها دفع العالم الى النظام العالمي الجديد والعولمة لكي تصب في خدمة الصهوينية والمصالح الامريكية، وتعود لتؤكد بأن هذه الرؤية ليست مصاغة برد الفعل او خاضعة لتسلط فكرة المؤامرة ولكنها رؤية تحليلية تحاول تفسير الاحداث التاريخية بالاستناد الى المؤثرات الحقيقية المختفية خلف التبريرات والتسويغات التي يطلقها الاعلام او التفسيرات الرسمية للاحداث في محاولة تشكيل العقل في النظر الى الحدث سطحيا وتغيب عناصره الفاعلة والمؤثرة لضمان استمرار اللعبة عندها يلدغ المؤمن من جحر واحد الف مرة ولا يستطيع ان يحلل اسباب اللدغة لكي يتجنبها، ونحن نستند في رؤيتنا للاحداث الى القرآن الكريم فالقرآن الكريم يخبرنا بتشابه المواقف لتشابه الاهداف فقال تعالى: ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1] وهذا النص القرآني يوضح لنا بأن القضية تفهم من خلال توافق النفوس التي تكره الحق وتتبع الهوى فيؤدي هذا التوافق الى توحد المواقف تجاه الحق في خطة ومنهج مبني على دراسة عميقة.

ولقد استطاعت اليهودية الهيمنة على الحياة الثقافية والاقتصادية ومن ثم السياسة في المجتمع الغربي وقد استخدمت للوصول الى هذه النتيجة كل ما تملكه الشخصية اليهودية من قدرة على الخداع والتلون والتأثير، والمعروف عن الشخصية اليهودية انها عاشت في الغرب في مناطق معزولة لكي تمارس

---

(1) سورة الاية:

طقوسها وتسمى هذا المناطق او الاحياء اليهودية بـ (الجيتو) وحيثما كانت هذه الجيتوات فانها تعني شيئا واحدا وهي ربط اليهودي بتراثه ولم ترتبط الشخصية اليهودية بموقعها الجغرافي (فأن الجغرافية لم تكن جزءً من هويتها ولم تكن كذلك سمة من سمات تراثها الذي تميز بتعدد مراكزه الجغرافية)[1].

ولذلك كانت الشخصية اليهودية عبارة عن رواسب في (لا وعي) الشخصية، يركز الانانية وحب الذات كما يصفهم المؤرخ توينبي (اليهودية اقبح امثلة عبادة الذات الفانية صيتا)[2] ويصفهم القرآن الكريم قبل ذلك ويأتي تفسير توينبي وغيره مصدقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾[3] وتاريخهم يتحرك بصورة اساسية على حب المال والشهوات وعبادة الذات من هنا كان ارتباطهم بحركة رأس المال العالمي وحرصهم على تكوين الثروات وكنز الذهب وهو معبودهم الثاني بعد انفسهم، ويصفهم ماركس بناء على هذه الملاحظة (علينا ان نفسر المحافظة على الدين او القومية اليهودية انطلاقا من اليهودي الواقعي اي من دور اليهودي الاقتصادي والاجتماعي)[4]. وبسبب التناقضات الحادة في واقع اليهود وتاريخ الذل والاستضعاف واجواء الانعزال تولد نوع من الانفصام في الرؤية جعل الصراع في المشاعر والتناقض الحاد في السلوك سمة بارزة في تحديد الشخصية اليهودية التي تحمل عقدة التناقض بين الشعور بالاستعلاء والشعور بالدونية والاضطهاد وهذا ما يؤيده د. حامد ربيع (ان اليهودي يتصف بالازدواج في شخصيته فهو مخيف في جانب وقنوع في

---

(١) الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية، د. رشاد عبد الله الشامي، ص٩، ص٢١، ص٣٣.

(٢) المصدر نفسه.

(3) سورة البقرة الاية:

(٤) المصدر السابق نفسه.

جانب اخر وهو فقير في بعض الاحيان ولكنه يحب المال وهو يرضى بالعقاب الذي نزل به منذ الحقبة الاولى ولكنه شكاك ومتذمر ومتربص لتحقيق تمرده وثورته في احيان اخرى)[1].

وكل هذه الصفات نفذت الى لب مكونات الشخصية اليهودية الاسرائيلية إذ ساعدت العزلة على المحافظة على رواسب الذل من الاستعباد المصري الى السبي البابلي ثم مرورا الى المحرقة النازية والاضطهاد المسيحي حتى اصبح هذا الراسب هو الثابت الشخصي لليهودية الذي يمكن ان يحل سايكولوجيا على ان اولئك الذين سبق ان عوملوا باستخفاف من الاخرين يفقدون الثقة في انفسهم عن طريق الادراك اللاشعور انهم قد يحاولون اخفاء هواجسهم الداخلية عن الاشخاص الاخرين باتخاذ الغطرسة الا ان افتقارهم الخفي للثقة في انفسهم يظل قائما وهذه الظاهرة معروفة في علم النفس (بالتوحد في المعتدي وهو ان يغدو اليهودي الضحية نازيا له ضحاياه، يقتل بدلا من ان يُقتل وهكذا تشكلت في فلسطين العصابات الارهابية، وهكذا كانت مذابح دير ياسين وكفر قاسم، وصبرا وشاتيلا، والهدف الجماعي لعملية التوحد بالمعتدي هو ان يتحول الحمل ذئبا وهكذا لا يبقى امامه خطر يخشاه لكن العملية اعقد من ذلك بكثير فعندما يتحول الحمل ذئبا يظل يشعر في اعماقه بالحمل في داخله وتكون شراسته فيها لمغالبة خوره ومشاعره القديمة مغالبة الحمل القابع في اعماقه ومن جانب اخر يظل يرى فيما يفرض عليه دور الحمل اي ضحيته يظل يرى فيه نفسه اي ان القاتل يرى نفسه قتيلا في ضحيته وهنا يستمر فعل القتل وكأنه بذلك يهرب من صورته مقتولا من ضحاياه وهو امر لا يستطيع منه خلاصا وبذلك يستمر في

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٢.

القتل كيلا يُقتل ومع تزايد ضحاياه يتزايد خوفه من الثأر والانتقام وهكذا فانه بالقتل يبرر حماية الحياة)[1].

ويلجأ اليهودي الى هذا الاسلوب في الحياة في داخل دولته وأما في خارج دولته فيلجأ الى اللوبيات الضاغطة والارهاب الفكري والاسقاط الاخلاقي والابتزاز المالي، ولعل اوضح مثال على الارهاب الفكري هو استخدام اليهود لقضية اللاسامية في التأثير على المفكرين الغربيين وتعني اللاسامية معاداة اليهود على انهم الممثلون الوحيدون للجنس السامي في المجتمع الاوربي وعلى حسب الدعوى التي اشاعوها عن انفسهم فانهم يروجون لفرض شعور لدى الغربيين بان كل ما اصابهم في التاريخ هو لكونهم يهودا او ان سبب ايذائهم هو حملهم الديانة اليهودية وان من يسعون لايذاء اي شيء يرتبط بهذا التاريخ مصابون بدءا اللاسامية وقد ترتب على هذا ان تمكن الصهيونيون من احتواء الفكر الغربي فاندفع مفكرو الغرب او غالبيتهم العظمى الى مناصرة الصهيونية دون تحفظ تحت وهم انهم يناصرون قضية عادلة يدفعون عن البشرية وزر العنصرية بما يعكس اضخم غسيل دماغ عرفتها البشرية[2].

وبذلك نجح اليهود في توظيف العالم الغربي المسيحي من اجل ايجاد نوع من التحالفات المصلحية لمواجهة الاسلام وهو العدو المرشح الوحيد للمواجهة التاريخية في صراع القوى من اجل الهيمنة.

---

(١) الشخصية اليهودية، م.س، ص٤٢.

(٢) المصدر نفسه ، م.س ، ص٣٨.

حدث غيَّرَ مجرى التاريخ في علاقة المسلمين بالغرب

تداعيات احداث (١١) ايلول:

صحا العالم في صباح ١١ ايلول عام ٢٠٠١ على حدث رهيب هز العالم حيث نقلت شاشات التلفزيون عبر الفضائيات تصويراً دقيقا لعملية اصطدام طائرتين ببرجي بناية مركز التجارة العالمي ادى الى انهيارها وتعرض مبنى وزارة الخارجية الامريكية لحادث مماثل ووزارة الدفاع الامريكية كذلك وكانت الصور التي تبثها الـ CNN والوكالات الاخرى تعيد الى الذاكرة ما كانت تبثه هذه الوكالات لصور القصف الامريكي ودول التحالف ابان حرب الخليج الثانية التي كانت تبث للمشاهدين كاحدى العاب الحرب ولكن في هذه المرة كانت الصور من واشنطن ونيويورك وليست من بغداد وبصورة اكثر دراماتيكية واكثر قوة واشد عنفاً، وكان القدر اراد ان يقول للغرب بأن عاقبة الظلم لم يتغير مسارها مع الاختلاف الواسع والمتعدد لمفردات الاحداث واشكالها ومكانها وزمانها فإن الحقيقة التي لا تقبل التغيير هي ان القانون الالهي في معاقبته الظالمين يكون بالاساليب نفسها التي يتبعها الظالمون في ممارسة ظلمهم وبطريقة اسرع واكثر تدميرا.

بعد هذا الحدث دخل العالم في حالة اشبه ما تكون بالهستريا والجنون والخوف والرعب نظرا لتحطم اكبر كيان اقتصادي في العالم وفي الاعتبار الاساسي فإن قيادة العالم في النظام العالمي الجديد قد تم تدميرها ، بحيث تعد منظمة التجارة العالمية (WTO) اخطر واهم مؤسسة من مؤسسات العولمة الاقتصادية التي كانت تقوم بالاشراف على ادارة النظام التجاري العالمي الذي يرتكز في آلية عمله على تحرير (التجارة الدولية وازالة العوائق الجمركية وتأمين

حرية السوق ونقل البضائع في مدى زمني لا يتجاوز وبحسب تحديد المنظمة عام ٢٠٠٥)[١].

وقد كانت اصداء الحدث وانعكاساته على العالم عميقة جدا وحدث تحول سايكولوجي جماعي ادخل العالم في مرحلة جديدة في مجال الرؤية والافاق والجذور التاريخية وكشفت الصدمة عن الخلفية الثقافية والعقائدية للشخصية الانسانية بصورة عامة وللغربي بصورة خاصة وللامريكي بشكل اكثر خصوصية، وبعد الحدث ظهرت دراسات وتحليلات وكتب محللون سياسيون وصحفيون وباحثون استراتيجيون حول الاسباب والنتائج ولكن صدمة الحدث لم يتم استيعابها وستبقى مصدرا لالهام صانعي السيناريوهات السياسية التي توظف لصالح الصراعات الايديولوجية التي تخدم اهداف القوة الخفية.

وكانت التحليلات والمؤشرات وما تم تسريبه عبر الاعلام يربط الحدث بجهات كانت مرشحة للقيام باعمال تستهدف العولمة او النظام العالمي الجديد او الولايات المتحدة على الخصوص ، ويمكن تحديد اهم هذه الجهات وهي:-

١. **مناهضوا العولمة:** وتضم هذه الجهة خليطا من المتضررين من العولمة من العاطلين عن العمل ومن الذين يدركون ابعاد خطورة العولمة على العالم ويحملون رؤية اصلاحية وتضم كذلك تجار المخدرات وعصابات المافيا حيث قامت الولايات المتحدة بحملة واسعة ضد تجار المخدرات في العالم وتعرض تجار المخدرات الى خسارات كبيرة تصل الى مليارات الدولارات خصوصا في امريكا اللاتينية وكانت هذه الحملة دافعا قويا للانتقام وكشفت الحملة مؤشرا على خطورة الاوضاع التي يعاني منها الاقتصاد الامريكي

---

(١) العولمة وطبيعة الازمات في الوطن العربي وافاق المستقبل، ورقة مقدمة الى ندوة بغداد حول العولمة في الحكمة، نيسان، ٢٠٠٢، اعداد غازي الصوراني – فلسطين.

والنظام الاجتماعي في امريكا الذي كان مهددا بالانهيار نتيجة لانتشار المخدرات والجريمة المنظمة.

٢. **المتطرفون المسيحيون:** وهؤلاء يؤمنون بقراءة اصولية للكتاب المقدس حيث تؤكد قراءتهم بأن عام (٢٠٠٠) سيشهد احداثا كارثية قد تصل الى حرب نووية تدمر الكرة الارضية، وترجع الجذور التاريخية لهذا الاتجاه الى القرن السادس عشر إذ بدأت حركة الاصلاح وتأسست البروتستانتية (وغير هذا الانقلاب معالم الديانة النصرانية حيث اطاحت الحركة البروتستانتية بحق الكنيسة في احتكار تفسير الكتاب المقدس فكان ذلك مفتاحا للولوج الى التفسيرات الحرفية للنصوص التوراتية فيما يتعلق باليهود، بل بدأت النصرانية تخترق بالمفاهيم اليهودية وتختلط بها بعد ان ضم البروتستانت التوراة الى جانب الانجيل مصدرا اوليا وحرفيا للتلقي ، خلافا لما كان عليه الامر خلال خمسة عشر قرنا خلت من عمر الديانة)[١]. وتنقل غريس هالسل في كتابها النبوءة والسياسة تصريحا لـ (بات روبتسون) القس الامريكي البروتستاني (الانجيلي او احد قادة حركة الانجيليين الصهاينة) وكان هذا القس مرشحا للرئاسة الامريكية عام ١٩٨٦ تنقل عنه قوله (ان اعادة ميلاد اسرائيل هو الاشارة الوحيدة الى ان العد التنازلي لنهاية العالم قد بدأ كما انه مع مولدها فإن بقية النبوؤات ستتحقق بسرعة)[٢].

٣. **الحركة الصهيونية او جماعات يهودية صهيونية متطرفة:** وترتبط هذه المجموعة بخلفية العقل اليهودي المتشكل عبر تاريخ الذل والخوف والبحث عن وطن والتطلع لاحكام السيطرة على العالم وفي نظر هؤلاء لا يمكن

---

(١) حمى سنة (٢٠٠٠) نظرة في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين، عبد العزيز مصطفى كامل، ص١٤٢.

(٢) نفس المصدر، ص١٦٦.

السيطرة على العالم بصورة مباشرة ولكن عن طريق السيطرة على السياسة العالمية ورأس المال العالمي بالامكان احكام السيطرة على العالم ويتم ذلك بدفع العالم نحو الصراع والحروب وقد ادرك كثير من المفكرين الغربيين هذه الحقيقة الصهيونية ويذكر صاحب كتاب (درع الصحراء والنظام العالمي الجديد): (تقول الموسوعة البريطانيا : ان كل الخلفاء لم يكونوا حازمين في تطبيق معاهدة فرساي - التي كانت سببا مهما ادى الى الحرب العالمية الثانية - فيما يتعلق باعادة تسليح المانيا .. والحقائق تقول ان رجال المصارف الصهاينة في بريطانيا وامريكا كانوا يساعدون المانيا على اعادة التسليح حتى بمساعدة (ستالين) فأنت لا يمكن ان تصدق ان الالمان الذين افلسوا منذ الحرب العالمية الاولى وقد تعرضوا لكساد عظيم في العشرينات كان بامكانهم بناء هذه الالة الحربية العظيمة من الدبابات والطائرات بانفسهم، اليس كذلك ؟ وكما قلت في نظرية التاريخ فقد كان الصهاينة يرغبون في تفجير حرب اخرى، وكان لديهم المال الكافي لتمويلها، وكان معظم الالمان في تلك الايام كما هو حال الامريكان في كل زمان لا يدركون ولو بشكل مبهم ما الذي كان يجري، ان كل ما كانوا يعرفونه ان المانيا كانت قادرة على كسب الحرب لو لم تخدع اولا ومن ثم تقع ضحية لمعاهدة فرساي..وقد عرف الصهاينة كيف يلعبون على وتر هذا الحس الوطني العظيم والمدهش وكان الشعب الالماني وهو يرى الخطر اليهودي على وطنه مستعدا للتعاون مع اي طرف يمكنه الخروج من مأزقه الاقتصادي، ولم يكن هذا الشعب يعرف ان المأزق الذي يتخبط فيه ما هو الا من صنع الصهاينة)[1]. وقس على هذه الحالة دخول العراق الكويت بعد حرب ثمان سنوات مع ايران!!

---

(١) درع الصحراء والنظام العالمي الجديد ، نورد ديفر، ترجمة: محمد الظاهر ومنية سمارة،

وكل الخطط اليهودية تهدف الى تعزيز وجودهم في فلسطين وفي برنامجهم ان ضمان نجاحهم في فلسطين يقوم على احكام السيطرة على العالم، حيث تذكر بروتوكالاتهم (اننا نقرأ في شريعة الانبياء اننا مختارون من الله لحكم الارض وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل..حكمنا سيبدأ في اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين فرقتهم الخلافات وتعذبوا تحت افلاس احكامهم ويصرخون هاتفين: اخلعوهم واعطونا حاكما عالميا واحدا يستطيع ان يوحدنا، حاكما يستطيع ان يمنحنا السلام والرحمة)[1].

ان قراءة العقلية اليهودية على وفق الشواهد التاريخية تشجع المتابع لأن يتقبل فكرة الاثر اليهودي في احداث ايلول.

٤. **المتشددون الاسلاميون:** افرز الصراع الطويل بين الغرب والاسلام ظهور تيار يؤمن بان امريكا هي رأس الافعى اليهودية وان ضرب أهداف استراتيجية في امريكا من شأنه ان يحدث تداعيات تنعكس على الغرب الذي يواجه العالم الاسلامي وعلى اسرائيل بصورة خاصة حيث دولة اليهود التي تستمد مقومات وجودها من الدعم الامريكي.

وعندما يفكر الاسلاميون على وفق هذا المنظور فانهم يستحضرون الصراع التاريخي والحقائق الثابتة التي تؤكد الحلف الاستراتيجي بين اليهود والحركة الصليبية، فقد اجمع رؤساء الولايات[2] المتحدة المتعاقبون على

ص٤٥.

(١) قبل الكارثة، نذير ونفير، عبد العزيز مصطفى كامل، ص١٥٩.

(٢) كل رؤساء الولايات المتحدة كانوا من البروتستانت باستثناء جون كنيدي فقد كان كاثوليكيا وتم اغتياله في ظروف غامضة، ثم اغتيال اخيه روبرت كنيدي، واسدل الستار على عائلة كنيدي بعد زواج ارملة جون كنيدي (جاكلين) من الملياردير اوناسيس لمسح

استراتيجية ثابتة وهي دعم اسرائيل واستحكام العداء للاسلام والمسلمين (ولقد جسد الرئيس الامريكي الاسبق (ريتشاد نيكسون) في اختصار مشاعر الغرب الصليبي تجاه المد الاسلامي في الشرق الاوسط فقال: (ان الخطر الذي تتعرض له منطقة الشرق الاوسط الان - لا يأتي من قبل الثورة الشيوعية بل يأتي من قبل التوجه الديني المتزمت هناك) وقد سبق نكسون باخوان له يهود رددوا ما يدل على نفاد صبرهم من تجدد الحركات الاسلامية التي تهدد اليهود بالخطر)[1].

كل هذه المعاني مع تنامي الشعور بالاحباط تجاه سياسة الولايات المتحدة المحازة ضد المسلمين في قضاياهم المصيرية كل ذلك ترسب في قاعدة الوعي الاسلامي وشكل الشخصية الاسلامية باتجاه الانحياز العميق في طريق المواجهة والاستعداد لها، مما افرز مجموعات تؤمن بان الطريق الى رضا الله يمر عبر تدمير القوة الطاغوتية الامريكية.

لقد كانت هذه التوجهات الاربعة (تلتقي في قضية واحدة وهي تفجير خط تصاعد القوة الامريكية الذي تنامى وتعاظم وبلغ اقصى مدى له في تجليات قوة العولمة والنظام العالمي الجديد امركة العالم ولكن الولايات المتحدة لم تتوقف وتحلل اسباب الحدث وانما انساقت وراء القوة الدافعة التي كانت تتحرك بها في فرض آليات النظام العالمي الجديد ودارت بصورة سريعة وحددت بصورة واضحة وبدون تردد وتحركت برد فعل عنيف واختارت عدوا كان العقل الغربي مهيأ لتسريع تفجير الصراع معه وحسبته عدوا سهلا يحقق للقوة الامريكية عملية تفريغ للصدمة وانعكاساتها النفسية على المواطن الامريكي بصورة خاصة

عائلة كنيدي من الذاكرة السياسية الامريكية. انظر: النبوءة والسياسة، غريس هالسل ص١٢.

(١) قبل الكارثة، م.س، ص٥٣.

والمواطن الغربي بصورة عامة، وتحقق القوة الامريكية من خلال العملية الاستعراضية التي ستقوم بها القوات الامريكية وحليفتها البريطانية اعادة الصورة التي انهارت نتيجة صدمة الحدث فتكون العملية رد اعتبار للنظام العالمي الجديد. وكان هذا العدو الذي اختارته امريكا لتفريغ عملية الانتقام هو الاسلام حيث اعلنت الولايات المتحدة وبريطانيا ان المسؤول عن الحدث هم المتطرفون الاسلاميون وتحديدا جماعة القاعدة وهو تنظيم اسلامي يقوده اسامة بن لادن ويتركز وجوده في افغانستان، فكان هذا التحديد اعلانا لبداية الحرب ضد التطرف الاسلامي او ما يسمى بالارهاب ولم تمر فترة طويلة على الحركة الاعلامية وتهيأة العالم لتلقي الحدث القادم حتى اعلنت الولايات المتحدة حربها على الارهاب ضمن استراتيجية التحالف التي تبنتها عند اعلان الحرب على العراق ودخلت بريطانيا في هذه الحرب وبدأت الحرب على نظام طالبان في افغانستان في ٢٠٠١/١٠/٧، ثم تتابعت الاحداث لتتم ازاحة طالبان وترشيح بلدان اخرى لضربة مماثلة لما حصل في افغانستان على اساس ان هذه البلدان تشكل خطرا على النظام العالمي الجديد لانها تساعد الارهاب او تأوي ارهابيين على حد تعبير رئيس الولايات المتحدة.

لقد كان اعلان الحرب من طرف امريكا وتدشين القرن الحادي والعشرين بحرب غير متكافئة بحيث لا توجد مقارنة بين امريكا وافغانستان لقد كانت هذه الحرب اصدق تعبير عن الفراغ الانساني والقيمي وعن سيكولوجية الظلم والطغيان والاستخفاف بالانسانية في ظل العولمة او النظام العالمي الجديد الذي تقوده امريكا وتفرضه على العالم كله مستخدمة الامم المتحدة ومجلس الامن كمؤسسات دولية تنفيذية لفرض المعايير الامريكية على العالم.

لقد كانت هذه البداية المأساوية للقرن الحادي والعشرين خسارة كبيرة للانسانية التي كانت تقترب من الحوار والتعايش فكانت الحرب قد نسفت

مشروع الحوار الحضاري واكدت على خيار القوة الذي يعبر عن الافلاس من القيم وغياب الحكمة والعقل وتغليب لغة الدمار والموت، وهذا الطريق يتوافق مع مصالح اليهود والحركة الصهيونية التي كانت تتمنى دخول امريكا كطرف واضح ومعلن في الصراع ضد الاسلام والمسلمين، ومع حقيقة وجود الاطراف التي كانت مرشحة للقيام باعمال ضد الولايات المتحدة او مراكز القوى في الارض لكي تدفع القضية باتجاه اهدافها او تتوافق مع ايدلوجياتها فان الولايات المتحدة اعلنت منذ اللحظات الاولى ان المسؤولية يتحملها الاسلاميون المتطرفون واستبعدت الاشارات والدراسات والتقارير كانت تتوقع مثل هذه الاعمال من الاطراف الاخرى (فقد حذر لويس فرية مدير عام مكتب التحقيقات الفيدرالي من ان المتطرفين الانجيليين واعضاء الجماعات الدينية والرؤيوية – اي التي تستند الى التنبؤات ورؤى الانبياء – قد يتحولون الى العنف مع حلول القرن الحادي والعشرين وقال : ان احتمال حدوث اعمال عنف من جماعات محلية وارد مع قدوم عام ٢٠٠٠م قد تجنح هذه الجماعات الى العنف بهدف افتعال احداث مثيرة تستغلها لتحقيق النبوءات التي تؤمن بها)[١] .

والواقع يشير الى قيام مجموعة من مناهضي العولمة بتحديات في سياتل وغيرها من مراكز القرار العولمي وقد افرزت هذه المظاهرات قتلى وجرحى بين المتظاهرين والشرطة وكذلك قيام بعض المتطرفين الانجليين بتفجيرات في الولايات المتحدة كما تعرضت بناية مركز التجارة العالمي الى تفجير قام به احد المتطرفين الانجيلين في ١٩٩٦ وتشير بعض الدراسات الى ان هذا التفجير كان ملهما للجماعات الصهيونية لتدبير عملية (١١ ايلول) ونسب موقع الانترنيت الى السناتور (اورين هانس) قوله (ان هجوم الارهابيين على الولايات

---

(١) حمى سنة ٢٠٠٠م، م.س، ص١٩٨.

المتحدة هو امر حتمي)[1] ويعني بالارهابي (الانجيلي المتطرف والاسلامي المتطرف).

اما اليهود فان الشكوك حامت حول وجود اثار صهيونية محتملة في تدبير التفجيرات ولاسيما بعدما اثيرت قضية تغيب اليهود عن الدوام في يوم التفجير غاب اكثر من اربعة الاف يهودي بحجة احتفالهم باحد اعياد اليهود وهناك اشارات تسربت عبر الاخبار تؤكد ان بناية مركز التجارة العالمي قد بيعت قبل التفجيرات بفترة قصيرة، ومع ظهور بعض الاسلاميين من الخاطفين يؤكدون مسؤوليتهم واشار اسامة بن لادن الى ما يعطي دلالة واضحة ولكن ليست صريحة تؤكد ان الخاطفين لهم علاقة بتنظيم القاعدة ولكن تسارع الاحداث والغموض الذي احاط باعلان قوائم اسماء الخاطفين ومن ثم الاضطراب في المعلومات وغياب الدقة في ذكر الاسم حتى قيل ان الاسماء بعد ان اعلنت تم سحبها من الحاسبات الموجودة في المطارات التي تحوي قوائم اسماء المغادرين والمسافرين، كل هذه الارتباكات في المعلومات حول منفذي العملية مع التعتيم من الاعلام الغربي واضطرابه حتى ان بعض الاسماء التي ذكرت ظهرت فيما بعد وقيل بأن هذه الاسماء لا تمثل اشخاصا حقيقيين مع كل هذه التعقيدات ونقاط الضعف في تحديد هوية الخاطفين مما يستدعي الحذر والبحث الدقيق والتأني في اتخاذ اي اجراء سواء في الاعلان ام في خطوة على ارض الواقع.

لكن سياق الاحداث تطور بشكل متسارع باتجاه القاعدة وطالبان واعلان الولايات المتحدة الحرب على الاسلام باسم الارهاب، ومع ضرورة التعامل مع الحدث بموضوعية إذ تشير الدلائل التي عرضها الاعلام المسموح به والمسيطر عليه الى قوة الادلة حول اتهام الاسلاميين الا ان الخبرة التاريخية في التعامل مع اليهود مع غموض التنفيذ اضف الى الغموض الطبيعة البشعة للعملية التي

---

(١) م.س، ص١٩٩.

صورت الخاطفين بصورة اجرامية قاتلة متعطشة للقتل والدماء يتعارض مع الرحمة والانسانية المعروفة لدى المسلمين وفي تعاليم الاسلام.

ومع هذه المسائل التي اثيرت والتي تبعث على اعادة النظر في الاحداث واعادة تحليل سياقات العملية وما بثه حولها مع هذا نعود لنتساءل كيف وظفت العملية بكل تفاصيلها وحلقاتها لصالح الصهيونية واليهود في فلسطين ؟ فإنه لم يحدث في التاريخ اجماع مسيحي غربي اجتماعي وسياسي لتأييد اليهود واجماع مسيحي صليبي ضد الاسلام كما حصل بعد التفجيرات، ومع ان الحروب الصليبية كانت قائمة على الاجماع الكاثولوكي ولكن لم يكن هذا الاجماع بالعاطفة والتوحد كما حدث بعد احداث ايلول.

كل ذلك يدعونا الى اعادة النظر في قراءة احداث ايلول، ومع قناعتنا بأن طبيعة الحدث متداخلة ومعقدة الا انا نرجح استنادا الى ما ذكرنا وما عرف عن اليهود من تاريخ طويل في توريط واستدراج العالم الى حروب كارثية ومدمرة كما حدث في الحربيين العالميتين نعود لنرجح بأن هناك احتمالية لاختراق اليهود للاسلامين ومن الممكن انه تم استدراج بعض الاسلاميين واقناعهم باهمية العملية واثرها في تغير معالم مراكز القوى في العالم والتخلص من الهيمنة الامريكية، وغيرها من المبررات التي ليست بعيدة عن ذاكرة كل مسلم يعيش الظلم الامريكي كل يوم في فلسطين والعراق والعالم الاسلامي الجريح اضف الى ذلك تصريحات المسؤولين الصهاينة اكثر من مرة حول اشراك امريكا مع اليهود لخوض حرب ضد الاسلام فقد ذكر نتنياهو في مقابلة لصحيفة ها ارتس في ١٩٩٦/١١/٢٢: ان عالم القرن القادم سيكون متعدد الاقطاب وغير مستقر وسنتعرض الى خطرين رئيسيين الخطر الاول يأتي من داخل الفلسطينين، اما الخطر الثاني فيتمثل في التهديد الاسلامي من خارج فلسطين ويتمثل الحل بالنسبة للتهديد الاول في ان نخلص الفلسطينيين من حلمهم فمن الضروري ان

يتخلصوا من فكرة الخلاص وفيما يتعلق بالخطر الثاني فلا اعتقد انه يوجد حل سهل واعتقد ان حل هذه القضية بعيد عن اسرائيل!)[1].

ولو ابتعدنا عن سيناريو المؤامرة التي اصبحت قضية تلغى بسببها كل الاستنتاجات التي تحلل الاحداث وفق البرامج المعدة سلفا فانا نعود نؤكد ان توظيف القضية لصالح الصهيوينة سار بشكل متناسق يبعث على الدهشة ويثير التساؤل حيث كان الخطاب الامريكي الصهيوني قبل الاحداث يتسارع في تعئبة العالم ضد الاسلام او ما يسمى بالارهاب فقد صرحت مادلين اولبرايت بقولها: ان ارادة الرئيس كلنتون تعتزم كل ما بوسعها لدحر الخطر الثلاثي المتمثل في دول وتنظيمات ارهابية وشبكات متطرفين تمتاز بحرية في الحركة، وقالت: ان نوعا جديدا من المواجهة تلوح بينما القرن الجديد يبدأ، واضافت من المحتمل ان يتجنب خصومنا ميادين القتال التقليدية وقد يلجأون بدلا من ذلك الى اسلحة الدمار الشامل، ثم اعلنت في كلمتها امام الكونجرس في ١٩٩٩/٢/٢٤ عن برنامج جديد تبنته الولايات المتحدة يمتد لخمس سنين لمواجهة (جماعات التطرف) وخصصت له الادارة الامريكية ٥٠ مليار دولار وقالت: ان الخطة الخمسية تمثل مجرد بداية[2].

كل ذلك يدفعنا الى التفكير بعمق لنتعلم كيف نتعامل مع الاحداث ولاسيما بعد احداث ايلول فانها مع قساوتها على المسلمين كانت تمثل مرحلة جديدة في تاريخ المسلمين وهي مدرسة في الصبر والثبات واليقين يحتاج اليها المسلمون اكثر من اي شيء اخر لكي يعرفوا عدوهم فان هؤلاء اليهود من الخبث والمكر والدهاء بحيث يملكون القدرة على ازاحة المسلمين الضعفاء والذين تزعزعت الثوابت العقدية عندهم. وانهم يفعلون كل شيء من اجل

---

(١) قبل الكارثة، م.س، ص٥٤.

(٢) قبل الكارثة، م.س، ص٥١.

الوصول الى غاياتهم، ومن امثلة مكرهم التاريخية ما يعرف بمذابح النازية او مذابح هتلر اللذين يطلق عليهم (ضحايا الهولوكوست) وهذه القضية ما زال اليهود يبتزون العالم الغربي بها ويحصلون على الدعم المادي والمعنوي من الدول الغربية بسببها، وقد صدرت عدة در اسات غربية تحلل هذه القضية واكدت هذه الدراسات ان الارقام التي يذكرها اليهود حول ضحايا النازية مبالغ بها ومع المبالغة والتضخيم هناك تعتيم على الضحايا المسيحين الذين قتلوا في معسكرات النازية مع اليهود ولكن الضوء المسلط فقط على قضية قتلى اليهود لاظهارهم بصورة المضطهدين عبر التاريخ لكسب عطف الرأي العام الغربي بالاضافة الى ذلك فان الدراسات الغربية كشفت عن خلفية المذبحة وانها كانت مؤامرة من اليهود الصهاينة الذين تعاونوا مع قياديي هتلر على ذبح اليهود الارثوذكس - اي اليهود الاصولين المؤمنين بالديانة اليهودية وتمت العملية من اجل التأثير على العقلية اليهودية واسقاط الحدث في لا شعور اليهود للبحث عن الخلاص وارض الميعاد في فلسطين[1].

كل هذه القضايا التي اثارتها تفجيرات ايلول كانت تدفع العالم باتجاه البحث عن الحقيقة وسط اوهام العولمة واوهام القوة والمال والنظام العالمي الجديد وادت الاحداث كذلك الى زيادة وعي التيار الوسطي في العالم الغربي الذي يؤمن بالحوار والسلام ويبحث عن حلول واقعية وانسانية لمشاكل العالم، وفي حديث للرسول ﷺ يصف فيه الروم او الغرب بانهم يملكون القدرة والقوة حتى قيام الساعة فقد ذكر الحديث (تقوم الساعة والروم اكثر الناس .. ويصف الحديث اسباب قوتهم منها انهم اسرع افاقة بعد مصيبة واحكم الناس عند فتنة واسرع كرة بعد فرة ينظر النهاية في الملاحم والفتن لابن كثير الجزء الاول حيث يذكر درجة الحديث والحديث مروي في كتب الصحاح)[1]، وفي هذا الحديث يرسم لنا

---

(١) انظر: كتاب الدرع الصحراء والنظام العالمي الجديد.

رسول الله ﷺ الخارطة السياسية للعالم والى قيام الساعة ويدلنا على منهجية للتعامل مع الاخر وفق الرؤية الواقعية ولكي لا نستدرج الى صراع غير متكافئ وعليه لابد للمسلمين ان يعيدوا قراءة الغرب على منهجية المرجعية الاسلامية (الكتاب والسنة) وان يعيدوا كذلك قراءة واقعهم ويصححوا موافقهم وفق المنهجية نفسها، واننا ندرك بأن الغرب ليس بمغلق او انه مرفوض جملة وتفصيلا أو انه يمثل الشيطان والشر والكفر ولكن هناك غرب عادل وغرب ظالم وهناك قيم وافكار صالحة للاقتباس والتفاعل واننا لو تخلصنا من عقد الانغلاق التاريخي والتعالي المجوف وعقدة الخوف من التماس او الاتصال فاننا سنجد ان الاخر لا ينطلق من فراغ وانه ليس باثم كله اذا نظرنا الى العالم وفق هذه الرؤية سنجد ان بعض الاخر يبحث عن حلول ويثير اشكالات يطلب فيها ان نتعاون لكي تصل الى الحقيقة وهذه هي مهمة المسلمين في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي بل ان هذه الفرصة قد وفرتها لنا العولمة اكثر من غيرها من خلال تسهيل عملية الاتصال ولو بحثنا في الغرب لوجدنا حتى اليهود الذين يعيشون في الحياة الغربية وتأثروا بها خصوصا اولئك الذين ينظرون الى اسرائيل من خلال العقل والحكمة سنجد ان هؤلاء فيهم من يبحث عن حل ويريد ان يعرف الحقيقة التي ضاعت وسط اوهام العولمة والاعلام، وقد ظهرت في اوربا في القرن التاسع عشر حركة اصلاح يهودية تأثرت بحركة الاصلاح والمسيحية وبلورت هذه الحركة اتجاهين:-

١. اتجاه يريد التخلص من العقد اليهودية والاحباطات والذل التاريخي التي ادت الى العزلة في (الجيتو) فيلجأ الى نقد اللاهوت التوراتي ثم يحاكي عصر التنوير فينتقد اللاهوت المسيحي ويحاول الاندماج في الحياة الغربية، وهذا الاتجاه صادق في تحوله ولكنه بالنسبة للرؤية الاسلامية اخطأ في الاتجاه.

---

(١) انظر: صحيح مسلم ٨/ ١٧٦، رقم الحديث (٢٨٩٨).

٢. اتجاه يريد اختراق الاخر ويخطط لذلك ويسلك في عملية اختراقه طريق تهديم العقائد لجميع الاديان ويفكك الاشياء وينسف المرجعيات الثقافية والفكرية والايديولوجية ويلغي المركز ويعوم العقل ويصل به الى العدمية عندها تتحول الحياة الى عبث وهذا ما تسعى اليه افكار الفلسفات المعاصرة (الحداثة - ما بعد الحداثة). واليهود الذين ينادون بهذا الاتجاه هم يهود صهاينة غير صادقين برغماتيون تحركهم مصالح ويخططون بخبث ودهاء لتدمير القيم والاخلاق في كل كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[1] يعني تدمير الانسان وتدمير البيئة[2]. وهؤلاء هم الذين اختطفوا قرار قيادة العالم ويتحكمون في مصيره الان.

وعلى اساس ما توضح لدينا من خلال اعادة النظر في تفجيرات ايلول وانعكساتها نود ان نؤكد ان الامر يحتاج الى اعادة نظر في المواقف والرؤية ومحاولة تغليب جانب الحوار والتعايش على جانب الصراع من اجل الهيمنة واذا كانت العولمة مثلت في آليات حركتها على ارض الواقع جانب الصراع والظلم والطغيان فان الخطاب الاسلامي مطالب باعادة التوازن للحياة من خلال التمسك بمنهجية السلام والحوار ليس خوفا او استسلاما وانما عن طريق التمسك بثوابت الاسلام والتمسك بالايمان بالله والاعتقاد بأن ما يجري في الارض انما بعلمه وحكمته، واننا عندما نقرأ الاحداث على ضوء السياق التاريخي فإن ذلك يزيد من رصيد الوعي ويعمق الافكار عند تفاعلها مع الاحداث وان هذا السياق التاريخي لا يعني الاستسلام امام الاقدار بقدر ما يعني التركيز على العوامل المؤثرة والحقائق الفاعلة في صياغة الحدث وظهوره

---

(١) البقرة: الاية ٢٠٥

(٢) انظر: الشخصية اليهودية الاسرائيلية، م.س، ص٥٠ وما بعدها.

على مسرح الواقع، والرؤية الاسلامية تستمد مقوماتها من العبر التاريخية التي تؤكد على استمرارية الارتباط التاريخي لنسق الاحداث وان تشكل الظواهر لا يأتي من فراغ خصوصا على مستوى الاحداث المرتبطة فكريا وعقديا في حياة الانسان والمجتمع ووفق هذه الرؤية المستمدة من توجيهات القرآن والسنة يكون ارتباط المنهجية الاسلامية والاحداث المرتبطة بها اكثر عمقا واشد ارتباطا واكثر شمولية للتجربة الانسانية في حين تكون منهجية الفلسفات الاخرى وليدة الظروف الموضوعية والمصالح والاهواء ثم بعد ذلك يقوم منظروا هذه الفلسفات بربط الاحداث بالجذور التاريخية ويبحثون لها عن صياغات عقائدية او ايديولوجية لزيادة فاعليتها وفي محاولة لتأصيلها تاريخيا لايجاد المبررات الفكرية وكسب الاتباع وتحقيق الاهداف المرسومة لها كما يذكر الدكتور عابد الجابري ان الامريكيين مولعون بالتاريخ والتراث ويسكن في قلوبهم وعقولهم حب الاشياء التي تربط الانسان بتاريخه ويبحثون دائما عن التاريخ والتراث في مفردات الحياة الامريكية وذلك يعكس قلقهم وشعورهم بالفراغ التاريخي وفقدانهم للجذور التاريخية وتلك ازمة انثروبولوجية يعاني منها العقل الامريكي[1]، وعندما يرتبط المسلم بالرسالات والانبياء ويحول ذكراهم الى عمق انساني فانه يعبر بذلك عن شعوره بالاستقرار النفسي التاريخي وكما في الحكمة الاسلامية (دولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة) فان الحكمة تسحب العقل الى اقصى انتماء انساني وتؤكد تواصل التجربة الاسلامية الانسانية وانقطاع التجربة الارضية.

---

(١) انظر: ظاهرة العولمة رؤية نقدية، المصدر السابق.ص٩٧.

عودة الى نظرية الصراع من اجل البقاء

العولمة والصراع من اجل الهيمنة :

ان المتابعة التاريخية لتشكيل المفاهيم تؤكد ان ظهور القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية خاضع لمفهوم الصراع المتأسس على آلية السباق المتسارع للوصول الى اهداف محددة بمصالح الجماعات والدول المبررة بقناعات مؤدلجة اذا صح التعبير اي مشحونة بروح ايديولوجية تشكل الدافع الاساسي للحركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعلى هذا الاساس يتجاذب العولمة تياران (تيار يرى ان العولمة هي هيمنة القوى الاقتصادية والعسكرية على الكوكب وبكلام اكثر دقة امركة العالم ، اما التيار الاخر فانه يرى هذا التيار العولمة ظاهرة حضارية تؤدي الى تحويل العالم الى قرية كبيرة تلقتي التأثيرات نفسها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والاعلامية بشكل آني .. إن العولمة ولاشك تعكس مظهرا من مظاهر التطور الحضاري وتحمل بعدا حضاريا، الا انها تحمل في ظل الوضع الدولي الراهن ذي القطب الواحد ارادة الهيمنة واختراق الاخر وسلبه خصوصيته وهي تختلف عن النظام الدولي لأن ما يرسم معالمها هو ليس العلاقات الرسمية بين الدول وانما يرسم معالمها هو رأس المال المعولم)[1].

وان هذه الرؤية للعولمة تعطينا تصورا حول كيفية التعامل مع العولمة فعندما ننظر اليها كفرصة للشعوب لتطوير التكنولوجية والمعرفية سرعان ما تصطدم على ارض الواقع حيث احتكار المعرفة والتكنولوجيا والتنمية الاقتصادية من قبل الامبريالية العالمية وبخلفية قانون الفقراء لمالثوس وثالوث المعونة وفلسفة قارب النجاة تتحدد المساحات لنقل العلم والتكنولوجيا الى بلدان العالم الثالث وكل ذلك يدفع الى الاعتقاد بأن العولمة تعني المزيد من طغيان القوى

---

(١) مستقبل العولمة، د. رسلان خضور ود. سمير ابراهيم حسن، ص١١.

الشريرة التي لا تشعر بالمسؤولية الانسانية مما يؤدي الى اقتراب الكوكب الارضي من كارثة عولمية تنهي الحياة البشرية وتعجل بقيامة العالم، ولذلك (نجد العديد من الابحاث والدراسات الصادرة في الولايات المتحدة نفسها تندد بما اصبح يسمى بـ (العولمة المتوحشة) وترى بأن الخط السائد الان مع المستقبل المحتمل لن يكون براقا امام الدول المتقدمة الغنية، وترفع العديد من المنظمات غير الحكومية شعارا يقول: لابد من اسقاط منظمة التجارة العالمية، وهذا ما يعبرعنه كتاب غاري بيرتلس واخرين بعنوان (جنون العولمة)[1]). وتؤكد الباحثة (ثناء فؤاد عبد الله) انه حتى الولايات المتحدة وان كانت المستفيد الاكبر من العولمة فانها يمكن الا تستطيع غدا النجاة من مخاطر (العملاق الكوني المتوحش) الذي ينمو حاليا خارج سيطرة القانون الامريكي بل خارج النظام الدولي نفسه[2].

فالعولمة وفق هذا السياق لا تسمح بتطور الاخر ولا تسمح له باستخدام التكنولوجيا المتطورة وتحاول مستفيدة من امكاناتها الهائلة في مجال المعلومات وامتلاك تكنولوجيا القوة ان تستدرج الاخر الى صراع غير متكافئ تكون نتائجه المحققة سلفا انتصارا ساحقا يؤدي الى فتح الابواب على مصراعيها لنهب الثروات والتدخل في صياغة عقل الاخر وتشكيله وصناعة نمط حياته الذي من شأنه ان يكرس هيمنة القوى العولمية الطاغوتية ويزيد من تداعيات المتلقي المستضعف ويتم التركيز من خلال آلة الاعلام العملاقة على عناصر الاسترخاء والخنوع في بناء نفسية المتلقي وفي دراسة للباحثة الاعلامية المصرية (جيهان البيطار) تؤكد من خلال دراستها للاعلانات التلفزيونية المصرية ان ٦٨% من اجمالي الاعلانات تحمل قيمة سلبية للمشاهد وعرفت

---

(١) ظاهرة العولمة رؤية نقدية، م.س، ص١٠٥ - ١٠٨.

(٢) المصدر نفسه.

الباحثة القيم السلبية بانها الشراهة والتبذير، ثم التفاخر والمباهاة والعنف الذي يظهر من خلال اعلانات الافلام والتركيز على جذب الجنس الاخر، حيث يتم استخدام المرأة في اعلانات سلع الذكور فقط والعكس صحيح مما يعطي ايحاء للمشاهد بأن شراءه لهذه السلعة له تأثير على الجنس الاخر، ومن النتائج التي اكدتها الدراسة ان ١٠٠% من الاعلانات الموجهة للشباب من الجنسين تحتوي على الاثارة سواء في الشكل او المضمون(١).

وقد كان الاعلام ممثلاً فاعلاً وكفوء في عملية الاعداد و التهيأة للمسح العالمي المستوعب لكوكب الارض لفرض العولمة كمرحلة جديدة لمابعد الامبريالية وما بعد الحداثة وما بعدها وكما حددها فوكومايا بنهاية التاريخ.

كان العرض الاعلامي الذي قدمته امبراطوريات الاعلام العولمي (CNN.BBC) – ويرى بطرس غالي ان الـ CNN هي العضو السادس عشر في مجلس الامن! كان هذا العرض لحرب الخليج عرضا تجريبيا ناجحا نقل المفاهيم العولمية من التجربة الى التطبيق ويصور التأثير الاعلامي في هذه الحرب المفكر كرستوفر نوريس بقوله: ان الحملة بمجملها امتياز اعلامي محض امتداد لتكنولوجيا العاب حروب الفيديو ولكن بوسائل بديلة سناريو ما فوق واقعي (real = Hyper) حيث تعرف الحقيقة تحديدا بمفردات خطابية وادائية محضة(٢).

ويحاول الكاتب ان يحلل اسباب سقوط العالم في مرحلة ما بعد الحداثة في التفكيكية التي تعبر عن اتجاه تفكيك الافكار والاشياء والوصول الى العدمية والغاء المركز ونسف المرجعيات الثقافية والفكرية والاجتماعية وفي معالجته لهذه الحالة يركز على عملية التزييف المستمرة للحقائق والتي يلعب الاعلام دورا

---

(١) المسلمون والعولمة، د. يوسف القرضاوي، ص٦٨.

(٢) ما بعد الحداثة المثقفون وحرب الخليج، كرستوفر نوريس، ص١٥.

رئيسا في صياغتها وتسويقها الى الوعي عبر وسائل الاعلام المهيمنة على حياة الانسان في عصرنا الراهن، ويرفض الكاتب ما يدعيه البعض (بأننا وصلنا الى مرحلة مزمنة من عدم التمييز بين قضايا الحقيقة والزيف وبأن الفروق الانتولوجية لم تعد بذات قيمة في مرحلة (التمثيل الزائف) لوسائل الاعلام المهيمنة)..وان هذا السيل القاسي من التغطية قد اعد لاتخاذ ملكاتنا المعرفية واستجاباتنا نقطة يصبح من المستحيل معها رسم الخط الفاصل بين الحقيقة والخيال او بحسب كلام الصحفي بودريار انا لا نملك ان نعرف فيما اذا كانت الحرب في الواقع قد نشبت؟ مقارنة بالصور المتخيلة على الحرب التي سبقت الحدث واستمرت بعده كمصدر
وحيد للمعلومات والاخبار)[1].

وتبدو الاحداث ضمن هذا السياق للمشاهد وهو ينفعل مع الحدث المنقول اليه عبر الشاشة وكأنه جزء من منظومة المصفوفة على حد تعبير سيناريو فلم الـ (MATRIX) وهكذا يتم غلق ملف الوعي الذاتي والاستسلام امام زيف ماكنة الاعلام.

وفي عمل متصاعد في غرف مظلمة تبث المعلومات المفبركة عبر وسائل الاعلام والوسط المعلوماتي (الاقمار الصناعية – الحاسبات – الانترنيت) سجلت العولمة موقعها المركزي في الارض وثبتت مركزيتها على حساب اكتساح المراكز الاخرى واستقرت في عقل الانسان المعاصر بدون استئذان ولم يعد للفكر المتلقي الحق في ان يقبل العولمة او لا يقبلها وانما التحليلات السائدة اليوم تركز على كيفية تقبل العولمة والتفاعل معها، وبناء على ذلك نستطيع القول ان العولمة تأسست على قاعدة الصراع ونضجت ضمن مفهوم الهيمنة والانحياز الى المصلحية ومشاركة قائمة على تخطيط القوى العظمى لفرض

---

(١) ما بعد الحداثة، م.س، ص٢٤.

سطوتها وتحقيق مصالحها على حساب الدول الفقيرة والمستضعفة، وعندما ظهرت العولمة على ارض الواقع كان ظهورها تأكيدا لهذه المعاني التي تعكس مفهوم ان العولمة اعلى مراحل الامبريالية ولكن هذا الظهور كان مصاحبا لتفعيل الاساليب البراغماتية التبريرية لتغطية الجوانب الموحشة والمشوهة للعولمة في محاولة لفرض هيمنة الخطاب الامبريالي الذي يؤمن بازدواجية القوة/المعرفة ويتمركز على معايير عقلانية صنعته وفي مواجهة هذا الخطاب قامت الحركة العقلانية الغربية بفضح تداعيات ما بعد الحداثة وانعكاساتها الخطيرة في اشاعة العدمية وفقدان التوازن لدى المجتمع الغربي فضلا عن الانعكاسات التدميرية للعالم النامي وتحديدا المجتمع العربي المستهدف الاساس من قبل الدوائر الغربية التي تديم وتزيد من فاعلية الصراع ضد الاسلام والعرب ضمن توجهات الحلف المصلحي بين الامبريالية والصهيونية وفي هذا السياق يذكر كرستوفر في معرض دفاعه عن ادوارد سعيد في تأسيس خطابه ضد الاستشراق كمؤسسة غربية تخدم المصالح الامبريالية ضمن دوائر تراكم الخبرة حول الشرق وتوظيف هذه الخبرة في تغذية عوامل الصراع فيقول (ان هدف ادورد سعيد هو اظهار الطبيعة المزيفة (False) – الكاذبة لمجمل ما يمرر على انه حكمة اكاديمية غربية حيال التاريخ العربي والقيم السياسية والثقافية العربية وهو يفعل ذلك من موقع مدعم بمعرفة افضل (اكثر عمقا وشمولية) للمصادر الوثائقية.. ويستحضر سعيد تلك الاحكام المسبقة والدوافع الهستيرية والبلاغة الابتزازية وتأكيدات عمياء غير موثقة الخ. والتي تسجل حضور رغبة عارمة باختلاق صورة عن الشرق تتماشى مع مصالح الغرب السياسية ومعتقداته). ونعود لنؤكد ان حرب الخليج تقدم نموذجا جاهزا للطريقة التي تم من خلالها استغلال هذه

الفبركات الثقافية الجاهزة – الراسبة في العمق – ووضعها في خدمة الحملة الاخلاقية ذات اللكنة العنصرية الثابتة[1].

ان استحضار هذه المعاني يؤكد انحياز الغرب ضد الاسلام وان هذا الانحياز مترسب في لا وعي الغربي سواء كان في دائرة صنع القرار ام كان في العقل الجمعي للشارع الغربي، مما يرجح لدينا الاستمرار في تصعيد لغة الصراع واهمال المحاولات المنبثقة من الواقع الغربي والتي تنادي بالحوار وتغليب الجانب الانساني على العنصري النفعي، وهذا يؤكد ان صياغة العولمة كمرحلة لما بعد الامبريالية يلغي احتمالية استفادة الشعوب النامية من التطور في مجال العلوم التكنولوجيا الذي تملكه القوى الكبرى لأن قيم الدول الكبرى هي قيم امبريالية تحددها المصالح ودوافعها التسلط والطغيان وان التلويح بفوائد العولمة يذكرنا بما عرضه الاستعمار الغربي لقادة الشعوب العربية والسياسيين العرب في بداية عصر النهضة وما اتفاقات الشريف حسين – مكماهون الا صورة معبرة بوضوح لعقلية الغربي ونظرته الى الشرق، وما فعله نابليون في حملته على مصر صورة اخرى من صور فرض الهيمنة الثقافية والسياسية للغرب على الغرب، وكل هذه المحاولات كانت شعاراتها الحلول والخلاص لهذه الشعوب من التخلف والضياع ولكن الحقيقة كانت مخالفة تماما لما كان يلوح به قادة الغرب والنتيجة كانت واضحة ولا تحتاج الى اعادة التذكير بصفحاتها المحزنة من التدمير الغربي لبلاد العرب وفرض الهيمنة والتدخل المباشر في شؤون العرب وحرمانهم من الاستقلال السياسي والاقتصادي، وبذلك نستطيع القول (ان تحليل الجذور التاريخية لظاهرة العولمة يوضح قيامها، فقد بدأ مفهوم رأس المال في البزوغ مع تهميش السلطة وتزايد حركة التجارة الذي اسهم في كسر العزلة الاقتصادية على صعيد الكرة الارضية، وقد شهد القرن التاسع عشر اوج

---

(١) ما بعد الحداثة، م.س، ص٢٠٥.

الاقتصاد ولم يكن قد بلغ حد العولمة، ويرى فوكوياما المستشار الاستراتيجي والمخطط للسياسة الامريكية الخارجية ان انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكيك المنظومة الشيوعية لم يضع حدا للصراع التقليدي فحسب وانما وضع نهاية للتاريخ ايضا، باعتباره الى الان تاريخ صراعات مريرة مدمرة ولقد حاول صموئيل هنتكتون المحاضر في جامعة هارفرد باميركا تجاوز فلسفة النهايات التي اكتملت عند فوكو بالاستقرار عند الرأسمالية العالمية وبحتمية الليبرالية كمصير للشعوب الى حتمية صراع الحضارات التي هي اخر طور اي الحلقة الاخيرة في سلسلة تطور الصراع ويرى ان التاريخ لن ينهض وان الصراع الحقيقي لن يختفي وانما سيكتفي كل منهما يتغيير مصادره واتجاهاته بالتحول من صراع دول ومجتمعات وطبقات الى صراع
ثقافات وحضارات)[1].

وهكذا يرى منظرو العولمة من خلال النظر الى الصراع هو ان العولمة تؤكد مفهوم الصراع وتوظفه ايديولوجيا في حين ان الاسلام مع اعترافه بالصراع والاختلاف ولكنه يتحرك من خلال تعاليمه الى تجفيف منابع الصراع والقضاء على مراكز القوى الظالمة التي تعيد انتاجه، ويعمل على اقامة العدل والسلام في الارض. وبذلك يجد الاسلام واقعية عدالته.

تحديات العولمة للعالم الاسلامي:

لقد فرضت العولمة بتجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية شعورا بتحدي الاخر مما ادى الى تباين المواقف لدى المسلمين حول كيفية التعامل مع هذا القادم الذي لا يستأذن، وكان رد الفعل هو الذي يشكل نمط الاستجابة لهذا التحدي وبناء على ذلك وقف بعضهم رافضا منغلقا ووقف البعض الاخر موقفا استسلاميا مستعدا يهيئ نفسه لتلقي اشارة الاندماج والانعتاق من ذكريات

---

(١) ظاهرة العولمة رؤية نقدية، د. بركات محمد مراد، مس، ص٧٧ - ٧٨.

التخلف والضياع التي لازمت الامة في تاريخها الحديث، اما الفريق الثالث فقد وقف الموقف الانتقائي وآمن بالمواجهة الايجابية لتحديات العولمة، ومع ان الواقع الذي فرضته العولمة هو الذي حدد نمط الاستجابة وفق النماذج الثلاثة المذكورة الا ان القضية يمكن معالجتها من زاوية اخرى وذلك لسبب ان هذه الاستجابات جميعها كانت استجابات منفعلة ومتلقية وغير ذاتية فكان لابد من البحث عن فرصة تمثل خصوصية الامة الاسلامية وتمنحنا شعورا باننا نملك القدرة على الاختيار وعلى التأثير والمشاركة في صنع الحضارة الانسانية ، ان ظهور العولمة لم يأت فجأة او خارج سياق التاريخ ولكن الايقاع السريع لاحداثها وتجلياتها هو الذي احدث الارباك والتشويش لدى المتلقي الاخر الذي تحول الى هدف لها ولآليات زحفها، ان الولايات المتحدة باعتبارها الراعي لها والمنظر لفلسفتها اعطت للعولمة صورتها الحاسمة على انها المرحلة النهائية لتطور الرأسمالية، ولذلك لا يمكن فصل العولمة عن التطور التاريخي لمفهوم الغرب والصراع من اجل الهيمنة، وان الذين جاءوا بالعولمة لم ياتوا الينا من كوكب اخر وانما هم انفسهم الذين اعطوا الغطاء الايديولوجي والتاريخي وربطوا بين اهدافهم في عملية فرض العولمة وبين استعداء الغرب على الاسلام وفي هذا الصدد يذكر زيغنو بريجنسكي مستشار الامن القومي الامريكي اثناء رئاسة جيمي كارتر (لن يكون الخطر القادم عشية القرن الحادي والعشرين ناجما عن تطور الوعي على الصعيد العالمي بل من حقيقة ان الجماهير الناشطة سياسيا خارج المجتمعات الديمقراطية لم تزل تعيش مرحلة اولية في الوعي المتميز بهوية ذاتية ضيقة قائمة على درجة عالية من المبالغة العرقية هذا القول يعني ان المزاج العام سيظهر في الغالب من خلال افكار بدائية تستجيب للنداءات العصبية السياسية منها والدينية)[1]. وهذه الافكار الاستعدائية هي التي صاغت

---

(١) حمى سنة ٢٠٠٠، م.س، ص١٩٧.

العقل الغربي في العصر الحديث وشكلت قناعاته باتجاه (العدو الاخضر) اي الاسلام - بعد انتهاء العدو الاحمر السوفيتي واحتمال احتواء الاصفر الصيني.

ان العولمة عندما تصادر التطور العلمي والتجربة الانسانية عبر تاريخ تطور الوعي البشري وتجيره لصالحها وتدعي ان كل المظاهر الايجابية التي تعيشها الانسانية من ديمقراطية ورفاهية وحقوق انسان وحكمة، وتقدم كل ذلك ناتجا طبيعيا لآلية عمل العولمة التي مثلت بشكل دقيق قدرة الغرب على اعادة انتاج الحضارة في حين اثبت الاخر فشله وعدم قدرته على التخلص من النقص المزمن في شخصيته وعقله . ان هذا العمل يعيد الى الذاكرة الشعور بالمركزية الغربية والاستعلاء على الاخر - ومع هذه النزعة تظهر مفارقة فلسفة الخلاص الانساني على يد رعاة البقر - ان هذه الرؤية قد تبدو مشحونة بذكريات التاريخ المؤلمة ومن الممكن ان تساعد على زيادة الفجوة بين الواقع والمثال او بين العصر في احداثه وبين الثقافة التي يحملها المسلم التي تشكلت في ذهنه نتيجة قراءة الماضي والتراث الفكري لحضارة الاسلام في عصر مجده، ولكنا نؤكد بانا كنا دائما خاضعين للغرب دراسة وتحليلا، وكان الغرب دائما يخطط ويضع البرامج لكي تتعزز هيمنته على الشرق واليوم في عصر العولمة وتدفق المعلومات وسهولة التواصل يبدو ان الوضع قد استدار وبدأ المسلمون يدركون خطورة وضعهم وحاجتهم الى استعادة اصولهم وحفزتهم تحديات العولمة للتمسك بالاصالة مع المعاصرة أول التحديات هو التحدي الاقتصادي، ان العولمة بآلياتها ومرتكزاتها الفلسفية اكثر خطورة من الماركسية مع ان الماركسية تتقاطع كليا مع الايمان بالله وتؤمن بعولمة او عالمية النمط الاقتصادي الماركسي حيث توقعت في نظريتها ان العالم سيشهد في مراحله الاخيرة النمط الاقتصادي الشيوعي وهيمنة البروليتاريا ونهاية الرأسمالية ولكن النهاية كانت لصالح الرأسمالية عندما ازاحت الماركسية وتوجت انتصارها بالعولمة بعد حرب باردة

تكللت بنصر بلا حرب كما يقول نيكسون في كتابه الذي يحمل هذا العنوان، ان انتصار الرأسمالية الماركسية يدل على قوتها وعلى تمسكها ببعض الواقعية التي تشبع الحاجات الانسانية على خلاف المثالية الماركسية، ولكن الماركسية على مخالفتها للفطرة واصطدامها في بعض النقاط مع حركة التاريخ ومع استبعادها كليا لقضية الايمان بالله مع ذلك فانها لم تكن اخطر من العولمة بل ان العكس هو الصحيح لأن الماركسية لم تكن تفرض فلسفتها بالقوة المضللة وانما حاولت ان تفرض نظريتها عن طريق الفكر والعنف الذي لا يغير القناعات داخلياً. في حين ان العولمة فرضت نفسها على ارض الواقع بكل الوسائل التي امتلكتها الرأسمالية من القوة الى الخداع والتزييف وهذا اخطر ما في العولمة.لانه يقدم السم في قدح من العسل.

والمعروف ان الغرب قد عاش انقلابا وطفرة في ثلاثة مجالات وظفها لزيادة استحكاماته وهيمنته على العالم والتي كانت في الحقيقة هي العوامل المؤثرة التي سهلت له عرض العولمة كفلسفة وايدلوجية يحكم بها العالم، هذه المجالات هي مجال الحاسبات، ومجال الاتصالات، ومجال التقنية الحياتية او هندسة الجنيات، لقد تم توظيف هذه المجالات لخدمة زيادة فاعلية هيمنة الغرب وبما ان التطور في هذه المجالات كان على ارض الغرب لذلك استطاعت القوى الغربية احتكار هذه المجالات وحجبها عن العالم ولم تقتصر عملية الاحتكار على البلدان النامية وانما كان هناك صراع بين الولايات المتحدة واوربا والدول التي حققت تقدما ملحوظا في هذه المجالات وقد حققت الولايات المتحدة تفوقا ملحوظا على العالم بسبب السبق في الزمن واستخدام الولايات المتحدة تقنية المعلومات بصورة واسعة ومدروسة حتى ان التنافس الدولي في هذا المجال يستند الى سياسات طويلة المدى بحيث (ان الهوة في تقانة المعلومات بين الولايات المتحدة من جهة وبين اوربا واليابان من الجهة الاخرى هي نتيجة

الاستثمارات الامريكية السابقة في تعليم ابناء الامريكيين في ميدان تقانة المعلومات. الانترنيت موجود في ٩٥ بالمئة في المدارس الامريكية وبالمقارنة توجد اتصالات انترنيت في ٤٥ بالمئة من المدارس الابتدائية و ٨٠ بالمئة من المدارس الثانوية في اوربا، وتترجم هذه الفروق في المدارس بعدئذ الى فروق في انتاجية العمل والكفاءة الاقتصادية)[١].

وبذلك نجحت الولايات المتحدة في توظيف التطور العلمي والتكنولوجي لفرض العولمة ونمط الحضارة الامريكية على العالم حتى تحول تعريف العولمة الى الاختزال بالامركة، ان الذين يناقشون العولمة يعرضون القضية من خلال مقولة ترفض او تندمج، وهكذا تحصر القضية بين الفرض والرفض، والغالبية تناقش على اساس ان العولمة امر واقع ولا سبيل لنا الا بقبول التعايش معه والاستسلام له، في حين ان القضية يمكن ان تعالج من زاوية الشعور بالذات وما هو حالنا وعلى اي ارض نقف وكيف نتصور مستقبلنا وكيف نخطط لخصوصيتنا؟ لقد مرت من جنبنا وتعايشت معنا حضارات ودول وفلسفات ولكنها لم تضعنا في متحارجة الرفض او الفرض، ان الاستعمار الحديث عندما دخل ارضنا عرض على امتنا الخلاص وكان هذا العرض وهما اراد به فرصة التمكين والهيمنة على مقدراتنا وثرواتنا ومع ان الاستعمار نهب ثرواتنا ورهن مستقبل الامة عن طريق ايقاعها تحت ظلام الجهل والتخلف ولكنه كان حريصا على حرماننا من اي حد من التطور التكنولوجي الذي كانت تملكه الدولة الغربية، وبناء على هذه الخبرة التاريخية في التعامل مع الغرب تصبح الدعوة الى تقبل العولمة او الاستفادة منها دعوة لا تعبر عن قراءة عميقة لطبيعة الغرب واستراتيجية الحضارة الغربية في تعاملها مع المسلمين ، اننا لا نرفض

---

(١) العرب والتحدي التقاني- تقانة المعلومات، انطوان زحلان، مجلة المستقب العربي، العدد ٢٦٩ ، ص٢٠.

التعامل مع العولمة، فان العولمة امر واقع ولكن مع هذا لابد ان تكون قدراتنا على التمييز والوعي واستقلال الفكر والشخصية هي السمات الحاضرة في ذاكرتنا ونحن نتعامل مع العولمة.

ان الاستعمار عندما احكم سيطرته على ارضنا لم يستطع ان يحكم سيطرته على فكرنا وهويتنا بل كان حافزا لنا على تأسيس عمل جهادي وطني ادى في النهاية الى زيادة رصيد التجربة الاسلامية المعاصرة من الوعي والمعرفة بالعصر وتطورات الحياة. وعندما ننظر الى العولمة على اساس انها تطورت ضمن سياقها التاريخي فان هذا يعني بأننا ندرك ان تعاملنا مع صورة متطورة ومعقدة وشمولية للفلسفة الرأسمالية حتى ان بعض المفكرين يرى (ان ما نشاهده اليوم ليس نظاما للعولمة بل نظام رأسمالي اكثر تكاملا)[1].

لذلك كان تعريف العولمة يمر عبر مراحل من التحليل والاستقراء لما اكتنف العولمة من تعقيد وغموض فقد حددها احد ابرز علماء السياسة الامريكيين جيمس روزانا بان مفهومها يقيم بالعلاقة بين مستويات متعددة للتحليل: الاقتصاد، السياسة، الثقافة، الايديولوجية، وتشمل اعادة تنظيم الانتاج، تداخل الصناعات عبر الحدود، انتشار اسواق التمويل، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول نتاج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة، ويعقب قائلا: في ظل ذلك كله فأن مهمة ايجاد صيغة مفردة تصف كل من هذه الانشطة تبدو عملية صعبة وحتى لو تم تطوير هذا المفهوم فمن المشكوك فيه ان يتم قبوله واستعماله بشكل واسع)[2].

وعلى هذا الاساس الشمولي كانت العولمة تمثل اكبر تحد للمسلمين، ذلك لأن فلسفتها الشمولية قائمة على اقصاء الاخر وفرض نمط الحضارة الغربية

---

(١) العرب والعولمة، المقدمة، اسامة الخولي، ص٧.

(٢) العرب والعولمة، في مفهوم العولمة، السيد ياسين، ص٢٦.

لتعزيز عملية الاستلاب الحضاري ومهما حاول بعضهم في تخفيف الصورة الاكتساحية والغاء التاريخ كشاهد على المشاركة الانسانية فان العولمة تبقى في وضع المتجاوز لادنى اعتبارات القيم والاخلاق وانها لا تنظر الينا بالصورة نفسها التي ينظر اليها المتحمسون لها والراغبون في التعايش معها، ولانها تنظر من خلال مركزيتها الانحيازية تعتبر استفرادها بالعالم حقا ترتب لها على الاخر ولذلك ليس من حق الاخر ان يقبل او يرفض بل ان العولمة سوف تسمح له بالبقاء او لا تسمح! وهذا لا يعني تعميم الصورة التشاؤمية بل يعني محاولة لزيادة توضيح الصورة من اجل زيادة الوعي، من هنا فأن هذا التحدي للعولمة ينحدر من الاسس التي قامت عليها ومن الجذور التاريخية لها (عبر الحروب الصليبية ثم التحالف الصهيوني الصليبي وحركة الاستعمار الحديث ثم انتهاء بالعولمة). ويلتقي هذا الانحدار التاريخي مع الفلسفة الحداثوية والنزعة الاستهلاكية والبراغماتية الغربية المتلقية مع المصلحة الصهيونية لتشكل هذه المؤثرات جوهر الفلسفة الشمولية المضادة لشمولية الاسلام وعالميته وانسانيته.

وبذلك تكون دعوات المعالجة الجزئية مثل بناء التكتلات الاقتصادية لمواجهة العولمة او بناء دولة وطنية قومية او الاهتمام بالتكنولوجيا واقامة صناعات استراتيجية وغيرها من القضايا التي تشكل اسبابا مؤثرة في مشروع الاستجابة الحضارية في مواجهة العولمة هذه الدعوات مع اهميتها فانها تبقى قاصرة عن ادراك الحل الشامل لمواجهة تحدي العولمة، ان غياب العدل وطغيان ممارسة التطفيف في المطيال وسياسة المعايير المزدوجة تعرض العالم الى تقارب الانهيار التام والاختلال في القيم والموازين وغياب الضمير والحرمان من الاستقرار النفسي والروحي، واذا تمثلت العولمة في ابرز جوانبها في مجال الاقتصاد فان اقتصاد السوق وتعميم النزعة الاستهلاكية الجنونية واثارة التطلعات نحو الاقتناء بلا ضوابط اخلاقية من شانه ان يكرس الظلم والاعتداء

على حقوق الاخرين (فأن البشر يصبحون اقل فأقل قدرة على تلبية حاجاتهم وبشكل متصاعد باستمرار وتضعف القدرة على الادخار وتزداد مظاهر الطبقية وتتراجع معدلات النمو ويزداد الفقراء فقراً والاغنياء غنى وخطاب العولمة الذي يقدم على انه شامل وانساني لا يبدو انه كذلك ويمكن التعرف على هذه الحقيقة من خلال البيانات الآتية:-

- يستلزم التعليم الاساسي للجميع في البلدان النامية (٦) بلايين دولار سنويا.
- ينفق على ادوات التجميل في الولايات المتحدة وحدها (٨) بلايين دولار سنويا.
- يحتاج تأمين المياه والصرف الصحي للجميع في البلدان النامية (٩) بلايين دولار سنويا.
- ينفق على تغذية الحيوانات المنزلية في اوربا والولايات المتحدة (١٧) بليون دولار سنويا.
- الترفيه عن رجال الاعمال في اليابان وحدها (٣٥) بليون دولار سنويا.
- ان ثروة اغنى (٢٥٠) فردا في العالم تزيد (٤%) عن التكلفة الاجمالية لتعميم كل هذه الخدمات في البلدان النامية.

وهكذا يبدو خطاب العولمة الايديولوجي الراهن مناقضا للواقع أو انه في حقيقته خطاب لتغطية تناقضات الواقع وعولمة التفاوت)[1].

وبذلك تحاول العولمة فرض اقتصاد بلا قيم مدعم بالقوة المادية ومتأسس على المنافسة الاستحواذية المستغلة والذي يتوقع من العولمة تغييرا نوعيا في مستوى الاداء والرخاء والتطور العلمي في الدول النامية فانه يعيش على اوهام الاعلام العولمي وان الولايات المتحدة عندما تنادي بفتح الاسواق وازالة الحدود

---

(١) مستقبل العولمة، د. رسلان مع د. سمير ابراهيم حسن، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، سوريا، ص٩.

امام حركة رأس المال والبضائع فانها (لم تتخل عن مبدأ الحدود الا حين ضمنت لنفسها اختراقا لحدود الاخرين)[1].وبالامكان ايجاد تحديات العولمة بما يأتي:

١. **التحدي الاقتصادي**: ان التحدي الاقتصادي للعولمة اكثر التحديات وضوحا في الجانب الظاهري للعولمة واكثرها فاعلية وتأثيرا لأن الاقتصاد العولمي قوته مستمدة من فراغ الساحة العالمية من فعاليات اقتصادية منافسة وتزداد خطورته لأن انعكاساته السلبية على الانسانية اكثر تدميرا (وان النموذج لنمو الغرب قائم على احتكار موارد العالم الثالث الطبيعية، والعالم الثالث يحوي ٨٠% من سكان العالم ويتكلف من الخسائر البشرية كل يومين ما يساوي خسائر هيروشيما جراء سوء التغذية والفاقة والامراض وان بعث الوحدة الانسانية لا يمكن ان يقوم كما كان امر تفككها بالعنف والسلاح بل بقوى محض انسانية من اقتصاد وثقافة وايمان وان ديون صندوق النقد الدولي المزعومة مرفوضة جماعيا لأن هذه القروض لا تمثل سوى الابتزاز والاستغلال لخمسة قرون من النهب الاستعماري وان مسؤولية هذه الديون تقع على عاتق المستعمرين واسيادهم الحاليين الذين اخلوا بتوازن الاقتصادات المحلية بالتضحية بالزراعات الغذائية لصالح الزراعات الوحيدة للاراضي والمنتجات الوحيدة التي تؤدي الى اختلال الامن الغذائي كما وان المبالغ التي دفعت للدين تجاوزت منذ زمن طويل المبلغ الاساسي، وان المساعدات المزعومة تقل كثيرا عن مدفوعات تلك الديون وان هذه الديون قد استخدمت في اكبر عملية ابتزاز ربوية)[2] وعندما يكون صندوق النقد

---

(١) العرب والعولمة، مداخلة عصام نعمان، ص٣٥٩.

(٢) الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية، روجيه غارودي، ترجمة حافظ الجمالي، ص٣٥٦.

الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية هذه الثلاثة هي التي تشكل جوهر آلية عمل العولمة تظهر صورة التحدي الاقتصادي اكثر وضوحاً.

٢. **التحدي السياسي** : اما التحدي السياسي فهو لا يقل خطورة عن التحدي الاقتصادي للعولمة اذ تعمل قوى العولمة على تقويض دور الدولة في النشاط الاقتصادي وتحويل اتجاه الاقتصاد من الدولة الى الخصخصة وربط معظم الانشطة برأس المال وتهميش دور الدولة (وقد اصبحت الرأسمالية متعدية الجنسات قادرة على الاستغناء عن بعض وظائف الدولة ، اذ تعتمد الشركات متعدية الجنسيات على نظم امن خاصة وعلى شركات بريد خاصة وتقوم باصدار النقود من خلال بطاقات الائتمان التي لا تخضع لاشراف الحكومات وبذلك سقط جزء من حق اصدار النقود من سيادة الدولة ولم تعد الدولة مسيطرة بالكامل على الكتلة النقدية، وبذلك طرأ تغير جوهري في الوظائف الاساسية والتقليدية للدولة)[١].

ان تقويض الدولة دون ايجاد بديل اداري او عامل ضبط مركزي يؤدي الى اختلال في العمل الاداري وفي التماسك الاجتماعي والسياسي وان فك ارتباط المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية من الدولة يسهل عملية الاختراق للامن القومي ويضعف القرار السياسي ويسلم الدول الى تداعيات ومتاهات من الفوضى والاضطرابات ويوفر الى مركز القرار العولمي فرصة في التدخل في الشؤون الداخلية للدول بما يخدم مصالح دول المركز على حساب دول الاطراف (فعلى سبيل المثال تبنى مجلس النواب الامريكي في ١٨ حزيران ٢٠٠١ القرار المعروف باسم قانون السلام في السودان باغلبية (٤٢٢) صوتا مقابل صوتين الهدف المقترح لقانون السلام في السودان هو حرمان الحكومة السودانية من موارد النفط كوسيلة لارغامها على وقف الحرب الاهلية. ان الجماعات التبشيرية

---

(١) مستقبل العولمة، م.س، ص١٣.

تنشط بين المتمردن الجنوبيين ولهذه الجماعات صلات قوية بالحزب الجمهوري)[1].

وما حصار العراق وليبيا الا امثلة احرى لتحديات العولمة السياسية فقد تمت مصادرة حقوق الدول في ممارسة سلطتها السياسية ضمن حدودها الاقليمية وكذلك ما تفعله الولايات المتحدة في توظيف الامم المتحدة لاستصدار القرارات التي تخولها استخدام القوة كما فعلت مع افغانستان ومع العراق بحجة التفتيش عن اسلحة الدمار الشامل وهذا يعد استخفافا بالمجتمع الدولي والرأي العام العالمي والعربي والاسلامي وبذلك تخطو العولمة باتجاه انهاء مفهوم الشرعية الدولية واحلال الهيمنة الامريكية محلها، وتمارس الولايات المتحدة الازدواجية المعيارية والاستخفاف بارادة الشعوب وتتجلى هذه القضية في تعامل الولايات المتحدة مع القضية الفلسطينية واسرائيل التي تشكل اكبر تحدٍ لمصداقية دعاوى العدل وحقوق الانسان التي تنادي بها العولمة وتبشر بها العالم.

إن التعامل مع القضية الفلسطينية في ظل العولمة يؤكد انحياز القوى الطاغوتية التي تقف خلف العولمة وهذه الحالة تدعونا لنضع تساؤلا امام انصار العولمة هو: هل الدولة في اسرائيل حالة شاذة في التيار العالمي السائد لتهميش دور الدولة واضمحلالها؟ وهل ان ما يسري على دول العالم الثالث لا يمكن تطبيقه على اسرائيل من مراقبة التسليح النووي او الانتهاكات اليومية لحقوق الانسان وغيرها من القضايا التي تبتز بها العولمة الامريكية الانظمة المستضعفة؟ ان تدخل الولايات المتحدة في شؤون الدول تحت مظلة الشرعية الدولية وآليات النظام العالمي الجديد واعلان الحروب التدميرية تحت تبريرات

---

(١) العلم والعولمة والامن القومي، انطوان زحلان، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٧١ ، ص٧١.

انسانية وديمقراطية كما حدث في الحرب ضد العراق وافغانستان وبلاد البلقان[٢] وغيرها من النقاط الساخنة ومناطق نزيف الدم في العالم الاسلامي كل هذه التداعيات تمثل اكبر مؤشر على اختلال موازين القوى في البناء السياسي للعولمة.

٣. **التحدي الثقافي:** اما التحدي الثقافي والاجتماعي والعقائدي فهو وان كان اخطر التحديات للعولمة ولكنه يوضع تحت التحدي الاقتصادي والسياسي لأن الاثار المترتبة عليه تظهر لاحقا وبصورة تدريجية وغير ردايكالية، وتتحدث ثقافة العولمة حول نسبية الاخلاق والافكار وغياب المقدس والانفتاح في العلاقات الاجتماعية مع استبعاد الارتباطات القومية والعائلية وتحكيم العقل في تحديد نمط الثقافة والهوية والعلاقة الاجتماعية – وتستخدم العولمة في تسويق هذه المفاهيم وسائل الاعلام والمواصلات وثورة تقنية المعلومات والانترنيت وبذلك تضعف هيمنة المرجعيات الثقافية والدينية مع انتهاء قدرة الدولة ايضا في اقامة الرقابة او السيطرة على المعلومات المبثوثة عبر الاقمار الصناعية وشبكة الفضائيات والانترنيت، ان هذا الاختراق الثقافي سوف يؤدي الى تفريغ العقل المتلقي من المكونات الثقافية الراسبة التي تمثل البقية الباقية من الهوية الثقافية وان هذا الاستلاب سيؤدي الى (الارتماء في احضان العولمة والاندماج فيها مما ساعد ويؤسس ثقافة الاختراق وهي ثقافة تتطلق من الفراغ ، اي من اللاهوية، وبالتالي لا تستطيع ان تبني هوية ولا كيانا، ويبرر اصحاب هذا الموقف هذه الحالة انه

---

(٢) تتبجح الولاليات المتحدة في اجهزة الاعلام بانها دافعت عن المسلمين ضد الصرب المسيحيين في حرب البلقان الذي يبدو ان هذه الحرب كانت حرب تغطية اعلامية لحروب غزوالعراق وافغانستان. كما كانت محاكمة ميلوفيتش مقدمة لاصدار أمر القاء القبض على عمر البشير!!

لا فائدة من المقاومة ولا في الالتجاء الى التراث، بل يجب الانخراط في العولمة من دون تردد ومن دون حدود، لانها ظاهرة حضارية عالمية لا يمكن الوقوف ضدها ولا يتحقق التقدم خارجها، وبعيدا عن مناقشة جدالية هذه الدعوى يكفي التنبيه الى انها الدعوى نفسها التي سبق ان ادعاها ونادى بها مفكرون عرب رواد منذ اكثر من قرن، ومع ذلك فحصيلة قرن كامل من التبشير بهذه الدعوى - دعوى الاغتراب - لم تنجح سوى فئة من العصرانيين قليلة العدد نشاهد اليوم تناقصا نسبيا واضحا في حجمها)[1].

ومع ان هذا التحدي يضرب في العمق[2] فانه ولد حركة فكرية ثقافية حفزت قدرات العقل المسلم لكي يبحث عن وسائل عصرية تسهل له عملية تكييف الاسلام مع التطورات والتغيير في المفاهيم التي افرزتها العولمة.

رؤية اسلامية للعولمة:

مع هذه المتابعة المتواضعة لموضوع العولمة الشائك والخطير لابد من الاعتراف باننا نعاني من ازمة مزمنة في التفكير ادت الى تخلفنا في مواكبة ايقاع العصر المتسارع ومع ان العولمة ظهرت في خضم هذا التسارع واستخدمت عنصر المفاجأة لاحداث صدمة فكرية لدى الطرف المتلقي للعولمة لكي تعطل عنده القدرة على تحليل منطلقاتها وبالتالي يعلن قبوله لها بلا معارضة او تردد، ولكنا لا نزال نؤكد ان العولمة ظهرت في سياقها التاريخي الذي ذكرناه وبذلك لا يمكن عزلها عن دائرة الصراع والهيمنة (ولما كانت العولمة ميدان صراع فينبغي عندما لا يمكننا الاستفادة من معطياتها ان لا نرث

---

(١) العرب والعولمة، العولمة والهوية الثقافية، محمد عايد الجابري، ص٣٠٦.

(2) ان تقسيم العراق طائفياً وعرقياً برعاية وتدخل راعي العولمة يؤكد التناقض الصارخ بين شعارات العولمة وتطبيقاتها ويؤكد كذلك القصد السيء لرعاة العولمة ومسوقيها.

عنها كراهية جديدة دون حدود تصب في كراهيتنا للاخر باشكالها المتعددة وصولا الى حرب لا طائل منها، لأن هذه الكراهية الفجة ستتيح للاخر امكانية عزلنا وستسمح له بناء او ترصين ايديولوجيا قادرة على ادامة وحدة المجموعة التي ينتمي اليها وعلى تبرير جميع التجاوزات الممكنة بحق المجموعات الاخرى بما في ذلك انتهاك وتدمير وامتلاك خبراتها وتفتيتها الى وحدات مجتمعية صغيرة يتم التحكم بها عن بعد)[1].

ولهذا السبب يحول الخطاب العولمي المفاهيم المتولدة من الخطاب المضاد للعولمة كرد فعل تجاه الاقصاء القسري وفرض الظلم والاستضعاف فيلجأ الى التضحية لالحاق الاذى المشترك بين الطرفين المتصارعين القوي والمستضعف لاحداث نوع من توازن الرعب عندها يتم وضع هذا السلوك ضمن مفهوم الارهاب لكي تبرر اعمال العنف المضاد والمدمر للقوى على المستضعف. ولذلك دعونا في بحثنا الى ضرورة اعادة النظر في طريقة المواجهة القائمة بين الاسلام والغرب او في فلسطين بين الاسلام واليهود وليس من باب القاء السلاح ولكن من باب فتح قنوات اخرى والانسحاب المؤقت من معركة خاسرة وصراع غير متكافئ للمحافظة على النوع والعمل على تأسيس ثغر لعرض الاسلام عن طريق الحوار والسلام وليس القتال والدماء ومع ادراكنا بأن الاخر لن يمنحنا فرصة كهذه الا اننا مطالبون بعدم الكف عن المحاولة حتى تهيأ فرصة للاتصال الهادئ والحوار مع الاخر كما تحققت مثل هذه الفرصة في صلح الحديبية * وعندما نطلب من انفسنا ان نكون عند هذا الموقع

---

(١) المجتمع والعولمة بين خطاب الاستلاب الاقصى والخطاب المضاد، د. عماد عبد اللطيف، بحث في مجلة الدراسات الاجتماعية، بيت الحكمة، يأخذ عن جرثومة العنف، عدنان حسب الله ص٣٦.

(*) ويبدو أن حركة حماس قد نجحت في التعاطي مع هذا المفهوم.

فاننا نريد ان نحقق المنهج القرآني الذي عرضه في قصة ابني ادم حينما حصل اول خلاف على الارض ادى الى اول جريمة قتل بعد نظام الخلافة الذي بدأه أدم عليه السلام .

وفي هذه القصة تتوضح لنا معالم المنهج الالهي للانسان وهو تأسيس معالم العلاقة الانسانية المبنية على الاحترام والمحبة وعدم الاعتداء على حقوق الاخرين، وهذا المنهج تمثل في شخصية الرسول الكريم ﷺ وسيرته عندما لم يعاقب المنافقين ولم يعاقب من آذاه شخصيا وكان ﷺ يستطيع ان يعاقب المنافقين وغيرهم ممن حاول الاعتداء عليه ولكن منهجية الاسلام هي البناء وليس استهلاك الطاقات في الصراع وان سنة الله اكثر مضاءً وتأثيراً في تدمير عناصر الظلم والفساد وزوال الطغيان وما على المسلم الا السير لبناء الحضارة والتمسك بالجوانب الايجابية للعلاقات الانسانية اما الجوانب السلبية فسوف يدمر بعضها بعضا ويضمحل اثرها في الحياة ويبقى الحق ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾.

ان العولمة بظهوريتها القائمة وديناميكياتها المؤثرة تمثل بالنسبة لنا (فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والتقانة في ميدان الاتصال)[1]، فهي من طرف الاقوياء اغتصاب وعدوان وانعكاساتها على الطرف الاخر في حالة خنوعه لها واستسلامه امامها تمثل انتحارا ثقافيا او اغتيالا للهوية.

وعلى هذا فهي ليست مجرد آلية من آليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي بل انها ايضا دعوة الى تبني نموذج معين فهي بذلك ايديولوجيا تعبر

---

(١) ظاهرة العولمة، م.س، بركات محمد، تقديم عمر عبيد حسنة، عن التقديم، ص٢٣.

بصورة مباشرة عن ارادة الهيمنة على العالم[1]. واخطر ما في هذه الايديولوجيا هو تغييب الله ﷻ فلا مكان لله في بنيتها الفكرية والعقدية وانما المصالح الشهوات وهي بذلك تستعيد العلمانية الغربية التي أسست على انقاض الدين في الغرب ابان عصر النهضة الاوربية، ومكمن الخطورة فيها انها لا تدعي بالكفر او عدم الايمان بالله بل تهمل في برنامجها قضية الايمان بالله وتعرض فكرها في شمولية المنهج المستوعب لنشاط الانسان على الارض مستخدمة التكنولوجيا والقوة والاعلام في عملية تزييف الحقائق واقناع الاخر وصناعة اوهام السعادة، وبناء على غياب الايمان بالله في برنامج وجود الانسان والهدف من خلقه وبين العبودية لله سبحانه فقال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾سورة الذاريات/٥٦ وعلى هذا فكل ناتج للعولمة سراب ان لم يكن عذاباً.

ولما كانت العولمة تتحكم بعناصر القوة والسيطرة المادية استرهبت الناس وجاءت بسحر عظيم فاصبح الناس يخيل اليهم انها الحقيقة التي لا يملكون مقاومتها او الوقوف في طريقها ولا نريد ونحن في اجواء تحديات السحرة ان نستخدم اسلوب الوعظ واثارة العواطف في تأسيس خطاب مضاد للعولمة ولابد ان نوظف هذا الخطاب المضاد للتفاعل على وفق الموازنة كمن يتصدى لترويض النمر وليس الى قتله ولكن لما كان القتل اسهل من الترويض فإن الخطاب المضاد للعولمة ولاسيما ذلك الخطاب المنتمي الى المدرسة العقائدية التي لا تؤمن بالله هذا الخطاب الذي تعرض للاندحار امام زحف العولمة لا ينفك يردد مقولات ماركس عن السقوط الحتمي للرأسمالية مهما طال الزمن ثم يبدأ هذا الخطاب بتسويق وبيع المفاهيم القديمة على نطاق واسع بحيث تولد شعورا بأن دمارا ما ينتظرنا عند الناحية الاخرى يشكل وعينا بكل شيء ابتداءً

---

(١) ينظر: المسلمون والعولمة، د. يوسف القرضاوي، ص١١.

من الايدز ومرورا بالاطعمة المعدلة وراثيا وصولا الى تلوث البيئة وارتفاع درجة حرارة الارض[1].

اما الخطاب المضاد للعولمة الاسلامي فانه اكثر حرجا وضعفا من الماركسي او اليساري لانه يعاني من ضعف في الاداء من جانبيين جانب الوعي بذاته وبرسالته ومسؤوليته الحضارية وجانب استيعاب الاخر والتعرف عليه وقراءته قراءة واعية تحقق له مقاربة ايجابية يخدم بها عقيدته ودينه ويحافظ بها على وجوده، وبذلك يقول: (الباحث احمد شهاب: ان جزء مهما من التخلف الحضاري الذي اصاب المسلمين يرجع الى انحراف التفكير لديهم لقد ادى الابتعاد عن روح الدين وحقائقه الواقعة الواضحة الى خلق اجيال تؤمن بالاسلام المظهري، بينما تعيش الارتباك والتردد في الداخل وهو ما أسهم في تأجيج حركة الصراع الداخلي في المجتمع الاسلامي كما بالغ في تصوير قوة الاخر الامر الذي سهل عملية اختراق جسد الامة..ولأننا نمتلك ذاكرة مثقلة باحداث السلب والاستعمار والتسلط والطرد..هذه الاجواء لا تسمح بقراءة معرفية وموضوعية للغرب). ولذلك يجب ان يكون للفعل وبناء الذات والانطلاق من رؤية معرفية في قراءة الذات والواقع والاخر مكان متميز في الخطاب الاسلامي عندها يمكن ان نسهم بصورة ايجابية في حركة وتطور العالم)[2].

ونحن بصدد تقييمنا للعولمة والتعرف عليها نزداد ادراكاً لخطورتها في ابعاد الناس عن الحقيقة ومع تخلفنا وتراجعنا الحضاري فان العولمة اكثر تدميرا من التخلف لانها تفتن الناس وتخدعهم حتى تسلمهم الى الفوضى والاضطراب ورغم الابتزاز الذي تمارسه العولمة عندما تضع الرافضين لها في مجال الصورة

---

(١) ينظر: المجتمع والعولمة، د. عماد عبد اللطيف، م.س، ص٥.

(٢) ظاهرة العولمة رؤية نقدية، م.س، ص١٣٨، ١٩٩، يأخذ عن احمد شهاب، نحو تناول علمي لمفهوم العولمة.

المنحطة والمتخلفة حضاريا وتطلق عليهم مواصفات سلبية متهمة اياهم بعدم القدرة على مواكبة التطور والتكييف مع العصر وحداثته فإن هذا لا يمنع من الاعلان بأن العولمة لم تقدم شيئا للانسانية يزيدها استقرارا ويمنحها راحة حقيقية بل ان العكس هو الصحيح، لانها لم تقدم بديلا ايديولوجيا ذاتيا للدولة والمجتمع ولا هي بديل ساري المفعول للاشتراكية والقومية والرأسمالية، ولذلك فهي تعيد الانسانية الى الفراغ من جديد[1].

ان فراغ العولمة من الايمان ادى الى غلبة الظلم والطغيان وافلاسها من القيم والاخلاق ومع اننا لا نريد ان نستعير الخطاب المضاد الماركسي او غيره من القوى الرافضة للعولمة ولكن هذا لا يمنع من توظيف الحقائق التي يذكرها الخطاب المضاد والتي يعاني منها الغرب او التي رصدتها الدراسات التحليلية لافرازات فلسفة العولمة او تجلياتها على دول المركز التي تبنت العولمة، ولعل ابرز مظاهر العجز الماثلة امام العولمة هي معاناة الانسان من الفراغ النفسي وتدهور الاخلاق والاسرة وانتشار الجريمة المنظمة وزيادة تجارة المخدرات والادمان عليها وانتشار مرض الايدز الذي انتشر في دول المركز. وكانت اول اشارة الى المرض في المذكرة التي وصفته عام ١٩٨١ فقد (نشر المركز الامريكي لمراقبة الامراض في مذكرة له في ٥ حزيران ١٩٨١ ان مرضا مجهولا يدمر النظم المناعية في خمسة رجال مثليين في كاليفورينا ومنذ ذلك الحين استطاع الباحثون في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية عزل الفيروس وتحديد خصائصه وايجاد الطرق المختلفة لمعالجة المصابين به وتحديد سبل كبح انتشار المرض، بعد اكتشاف ان انتشار المرض يتم عن طريق الاتصال الجنسي ونقل الدم تبنت دول المنظمة المذكورة طرائق مختلفة لمراقبة التبرع بالدم وحذرت مرضى المخدرات من الابر المستعملة واوصت بقوة باستعمال الطرق

---

(١) انظر: المجتمع والعولمة، د. عماد عبد اللطيف، ص٥.

المتعارف عليها لممارسة الجنس الامين)[1] ولا نريد ان نعقّب حول فعالية هذه الطرق في القضاء على المرض او تحديده، لان المعالجة منصبة على اثار المرض ولا تستطيع الوصول الى معالجة اسباب وجذور المرض ولان المرض كان بسبب الانحراف الاخلاقي والشذوذ الجنسي وهو ما تعاني منه دول العولمة المركزية فمهما حاولت الوسائل والطرق المتخذة للحد من المرض فان المعالجة الجذرية تبقى بعيدة المنال لأن العلاج الوحيد للمرض هو التمسك بالقيم والاخلاق التي لا يمكن ان نجدها في نظام قيمي واخلاقي في غير الدين، وان معالجة الشذوذ والانحراف بالتنظيم والسيطرة على الشهوة يعد عبثا لا قيمة له لأن السيطرة على الشهوات لا تعمل الا عندما يوجد الضمير والايمان برقابة داخلية ودوافع ذاتية اخلاقية ورواد ع ضمير يشعر بانسانيته ويرتفع عن السقوط في مظاهر الحيوانية البهيمية وهذه المعاني لا يمكن بلورتها الا من خلال تعاليم الدين. ولذلك مع زيادة الوعي بخطورة المرض والعمل من خلال توظيف الاعلام وتقانة المعلومات فان معدلات الاصابة بالمرض تزداد في بلدان العالم الثالث التي لا دين لها وسائرة وراء اوهام العولمة في البحث عن رأس المال للمحافظة على الموازنة الضعيفة والحرجة بين سداد الديون والقروض الربوية وبين المحافظة على اقتصاد هش ومهتز.

ومثال ذلك تايلند (حيث تعمل عشرات الاف النساء في صناعة التدليك – الجنس السياحية – رفضت الحكومة اول الامر تطبيق أي اجراءات حماية خشية اصابة السياح بالفزع وابتعادهم وكانت النتيجة ان المومسات اصبن بالمرض المدمر)[2].

---

(١) العرب والتحدي التقاني، انطوان زحلان، م.س، عدد ٢٧١.

(٢) العرب والتحدث التقاني، انطوان زحلان، م.س، عدد ٢٧١.

ان انتشار المرض كالنار في الهشيم يعكس الفراغ الذي تعاني منه الانسانية من القيم والاخلاق التي تحافظ على نظافة المجتمع من هذه الامراض وقد حذر الرسول ﷺ من عاقبة انتشار الفواحش والزنا والشذوذ في احاديث كثيرة مثل قوله ﷺ : (ما عمت الفاحشة في قوم قط الا ابتلوا بالاوجاع والامراض التي لم تكن في اسلافهم)* وقوله: (اذا انتشر الزنا في قوم كثر فيهم الموت)** .

وكلما قرأنا وسمعنا صرخات الاستغاثة من الدول التي ابتليت بهذا المرض شعرنا بعظمة الاسلام والنعمة الكبرى التي انعم الله بها على امة محمد ﷺ وشعرنا كذلك بتعاسة مجتمعات العولمة التي تتعذب عذابين عذاب الدنيا بالامراض والجريمة والفراغ وعذاب الاخرة اعاذنا الله من العذابين وهدى الناس لما فيه صلاح الدارين، ولو تابعنا المرض وحجم الكارثة التي سببها سنجد ان (مركز وباء الايدز هو جنوب افريقيا اذ ان ٢٥ بالمئة من مجموع البالغين يحملون الفيروس في الوقت الحاضر وتشكل الفتيات ١٥ – ٢٥ سنة من العمر اغلبية حالات الايدز ويرجح الخبراء انه قد ينخفض عدد سكان بعض الاقطار انخفاضا كبيرا ويقدر مكتب احصاء السكان الامريكي ان عدد سكان افريقيا جنوب الصحراء الكبرى سينخفض (٧١) مليونا بحلول عام ٢٠١٠ وسينخفض معدل العمر من ٦٠ الى ٣٠ سنة في المناطق الاسوأ تأثيرا بالمرض..وليس ثمة شك في ان فيروس نقص المناعة المكتسبة مسألة امن وطني حاليا)[١].

WWW.BOOKS4ALL.NET
https://twitter.com/SouraAlAzbakya

(*) الحديث رواه الترمذي ، جزء من حديث رواه ابن في سننه باب العقوبات ٥/ ٤٩٠، رقم الحديث (٤٠١٩).

(**) الحديث، انظر: النهاية في الملاحم والفتن، لابن كثير. الحديث السابق بالفاظ متقاربة، ويذكر الطاعون بدل الموت في سنن ابن ماجه، باب العقوبات، ٥/ ٤٩٠، رؤقم الحديث (٤٠١٩).

(١) العرب والتحدي التقاني، م.س، عدد، ٢٧١.

والذي يبعث على التساؤل هو انتشار المرض في افريقيا وتطوره بصورة عنيفة مما اصبح يهدد الوجود البشري في تلك القارة! يا ترى من المسؤول عن هذا الانتشار؟ وهل وراءه اهداف جيوبولتيكية او استراتيجات سياسية وحسابات مصالح عولمية ترتكز على خلفية فلسفة قارب النجاة او قانون مالثوس؟ ان نقاط الضعف في النظام العالمي الجديد الذي يعاد تشكيله عن طريق العولمة وآليات حركتها تؤشر هذه النقاط خللا كبيرا واختلالا في التوازنات الدولية متمثلة بغياب العدالة الاجتماعية، والعدل السياسي وهيمنة منطق القوة الاحادي وسطوة الاحتكارات والازدواجية في المعايير مما يؤدي الى انهيارات محتملة في النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العالم اجمع ما لم يتم اعادة التوزان في موازين القوى باي شكل من الاشكال ، وان اعادة التوزان سنة من السنن الالهية التي تحكم حركة الوجود الانساني ومن حكمة الله تعالى انه لا يترك قوة ظالمة تستفرد بالعالم حتى يسلط عليها سنة التدافع بحيث تظهر منافسة تؤدي الى تخفيف الضغط على القوى المستضعفة وفي ذلك يقول الرب جلياً قدرته ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].وقوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[2].

وان سنة التدافع سجلت ظهورا واضحا بعد احداث (١١ايلول) التي ادت الى ظهور بعض التصدعات في القوة الامريكية من الناحية العسكرية والاقتصادية مما فسح المجال امام القوة الاوربية للظهور كقطب متنامي في

---

(١) سورة البقرة: الاية ٢٥١.

(٢) سورة الحج، الاية ٤٠.

مواجهة القطب الامريكي وادى ذلك الوضع الى ظهور اليورو كقوة اقتصادية متنامية امام الدولار الامريكي ومن مظاهر سنة التدافع ايضا الظهور الصيني. والمستقبل القريب يحمل في افقه اشارات واضحة على احتمالية صعود اطراف جديدة الى مؤسسة القوى الكبرى وكلما تعددت اطراف الشراكة في هذه المؤسسة كانت المحصلة لا تصب في مصلحة العولمة الامريكية.

ان النظر في الخارطة الجيوبوليتيكية للعالم لا يمثل عنصرا اساسيا في المنهجية الاسلامية العقائدية لمواجهة العولمة وتحدياتها ولكنه يعمق الرؤية السياسية للباحث ويساعده على اختيار الاساليب الاكثر فاعلية في عملية تعبئة الطاقات الذاتية للأمة وهي تواجه تلك التحديات. ولما كانت العولمة تستبعد الايمان بالله وترفض التعامل مع هذه القضية الاساسية وتعدها ميتافيزيقيا غيبية تتقاطع مع المنهج العلمي الامر الذي ادى الى ضعف منظومة القيم وتهميش فاعليتها مما انعكس على الاوضاع الاجتماعية بحيث اضعف التماسك الاجتماعي والبناء الاسري وأدى الى انتشار الامراض الجنسية وتعاطي المخدرات كما ادى ذلك الضعف في منظومة القيم الى سيادة نمط قيم السوق والتطرف في النزعة الاستهلاكية الذي يعمق التعلق بالحياة والاستغراق مع الاستمتاع بالشهوات بحيث يتضخم حب الذات على حساب النزعة الاجتماعية التعاونية وحاولت العولمة تعميم نمط الانتاج الغربي ليكتسح الاسواق العالمية ومع تسويق هذه المنتجات التي ستغزو الاسواق الوطنية (ستحاول العولمة تثبيت سلوك استهلاكي ونمط للعيش يتماشيان مع المحيط الذي ظهرت فيه وبذلك فهي سوف ترسخ ما يسمى (بالمادية الاستهلاكية Consumer Materialism) وهذا في الحقيقة دفع اوربا الى فرض ما يسمى (بالاستثناء الثقافي) في ربط علاقاتها الاقتصادية مع منظمة التجارة العالمية محاولة بذلك الحفاظ على تنوع

ثقافاتها ومعترفة ضمنيا بعجزها عن التصدي لهيمنة الصناعة السمعية والبصرية الامريكية التي تستحوذ على ٩٠ من السوق العالمية) [١].

ان هذه النزعة التي تفرضها العولمة تتقاطع مع مفهوم الجهاد في الاسلام وان هذه القضية تثير اشكالية اساسية في التعامل مع العولمة وتعزز الاتجاه الذي يرفضها ويرفض تقبلها كفلسفة للتعامل مع الحياة.

وذلك لأن الجهاد في الاسلام يشكل اعلى نقطة في هيكلة تعاليمه وهو ذروة سنامه ولبنة اساسية في فلسفة البناء الاسلامي للشخصية الاسلامية، فالانسان في الاسلام يعيش ليجاهد في سبيل الدين والمعاني الانسانية اما الانسان في مفهوم العولمة فانه يجاهد في سبيل المصالح والشهوات لكي يعيش ومفهومه للحياة لا يتعدى الحياة الدنيا واذا كانت العولمة تستثني قضية الايمان بالله في برنامجها وتهمش الاخلاق والقيم وتتقاطع مع مفهوم الجهاد في الاسلام الذي جعله الرسول ﷺ سببا من اسباب خلاص الامة من الذل والهوان وذلك بقوله ﷺ (اذا تركتم الجهاد ورضيتم بالزرع وتبعتم اذناب البقر سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم ..) الحديث *. وجعل كذلك بناء الشخصية ونفسية المسلم تتأسى على الاستعداد للجهاد بقولهﷺ : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة الجاهلية) الحديث **.

وهذا ليس دفعا باتجاه الحرب والدماء ولكنه بناء نفسي يخالف البناء النفسي العولمي الذي يقوم على حب الدنيا وكراهية الموت[٢]).

---

(١) مفهوم اقتصاد السوق وابعاده ودلالاته بالنسبة للمنشأة العربية، د.عبد الكريم الفتاح التريكي، استاذ الجامعة التونسية، ندوة بغداد حول العولمة، بيت الحكمة.

(*) رواه ابو داود، انظر: سبل السلام: ٣/٤١ ونيل الاوطار: ٥/٢١٩.

(**) صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب ذم من مات ولم يغز، رقم الحديث ١٩١.

(2) لابد من التذكير بأن هذا البناء مرتبط بالايمان بالله والا كانت النتائج عكسية وسلبية.

واذا كانت هذه الاسباب التي ذكرتها كافية لتوليد قناعة راسخة على رفض العولمة وآليات عملها، فان الامر ينبغي الا يتوقف على رفض العولمة واللجوء الى الخطاب الوعظي العاطفي بل لابد من تحليل التحديات التي افرزتها العولمة، ولابد من الاعتراف بوجود قصور في فهم العولمة وتباطؤ في تشكيل استجابة واعية محصنة ضد اثارها المتقاطعة مع المنهج الحضاري الاسلامي، وعندما نتعرض للعولمة كفلسفة تحدٍ شمولي تواجه الفكر الاسلامي المعاصر نحاول صياغة فهم يختلف في اقترابه منها وتداوله لمنتجاتها المادية والفكرية عن اسلوب المواجهة الرافضة بلا وعي وعن اسلوب الانخراط فيها وتقبلها تقبلا سلبيا وانما نحاول المساهمة في بلورة الاتجاه المتوازن الذي استوعب الصدمة ويحاول التكيف معها بصورة واعية وايجابية، ومع ظهورية الخلفية الالتوائية في تغذية مفهوم الصراع والهيمنة في العولمة فان النظر اليها كحلقة متطورة من حلقات الاستعمار المعبر عنها بما بعد الامبريالية هذا النظر سوف يساعدنا في تفسير الاغطية التبريرية التي تستخدمها العولمة في عملية تطبيقها وتمرير انماطها الاقتصادية والثقافية والسياسية، ولابد من اثارة الانتباه والتذكير بنقطة الانطلاق للمشروع الاسلامي الذي ركز عليه القرآن الكريم في عملية التغيير ومواجهة التحديات الا وهو البداية بمراجعة الموقف الذاتي وتغيير النفس الانسانية في داخل الشخصية الاسلامية والارتقاء بها الى مستوى ثقافة العصر لكي تستطيع الثبات في مواجهة تلك التحديات واشار القرآن الكريم في اكثر من آية الى هذه الحقيقة مثل قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعد /١١، وقوله تعالى ﴿ أَوَلَمَّآ

أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾[1].

فالعودة الى الوعي والانحياز الى الاسلام انحيازا مبنيا على القناعة والاعتقاد بأن الاسلام منهج يحقق للانسان توازنا بين الروح والجسد على ارض الواقع وليس بالعودة الى المثالية التي تحلم بعالم اسلامي مستقر في الاخيلة ويستحضر صورة الماضي المفعم بتراث سلفي مرتقٍ الى صور الاقتداء فتولد هذه الصورة المتناقضة بين القدوة المتوهمة والواقع الارتكاسي والفشل في تحويل التعاليم الى سلوك بسبب ضغط المؤثرات الخارجية وضعف الطاقة الايمانية كل ذلك يولد شعورا بالكراهية للمظاهر التي تعادي الاسلام ظناً من المسلم بان هذه المظاهر هي السبب الوحيد لما يحدث للمسلمين متناسيا الاسباب الداخلية التي عول عليها القرآن الكريم في مشروع الاصلاح الاسلامي وبالتالي تبدأ عملية تفريغ الحقد والكراهية التي تولدت في الذاكرة نتيجة لذلك الاحباط والفشل في تمثيل سلوكيات الاسلام وتأخذ صور التفريغ كل المجالات التي تضغط ضغطا مباشرا مثل الصراع الطائفي او الخلاف الفكري والمذهبي او الاستدراج نحو صراع غير متكافئ يعطي تبريرا للعدو الكافر ان يمارس كل عمليات التصفية الجسدية او التدمير الشامل للطاقات الاسلامية وعندما يستدرج المسلمون الى هذا الصراع انما يقدمون فرصة ذهبية لعدوهم لأنه دفعهم للمواجهة في وقت ليس في صالحهم وظروف لا يمكن ان تمنحهم الحد الادنى من المقارنة بين القوتين في عالم الاسباب ومسبباتها فيلجأ المسلمون الى المعادلة الايمانية في الاعتماد على القوة العظمى، خالق الوجود ﷻ ولكن هذه المعادلة لا يمكن ان تعمل في مثل هذه الظروف الذاتية والموضوعية لأن الظروف الذاتية لا تؤهل

---

(١) آل عمران، ١٦٥.

المسلمين للمواجهة لضعف ايمانهم الذي يؤدي الى ضعف قوتهم وخلافاتهم التي تؤدي الى تشتت وحدتهم اما الظروف الموضوعية فانهم على ضعف ايمانهم لم يأخذوا بالاسباب فتكون النتيجة في مثل هذا الصراع السقوط والانهيار للمسلم الذي يعيش فراغا مزدوجا مشوشا فهو يعيش فراغا بالنسبة للدين الذي ولد وهو ينتمي اليه وراثياً عن طريق الوالدين ويعيش فراغا حضاريا ولد عنده عقدة التخلف او الشعور بالاعجاب بمظاهر التطور العلمي والتكنولوجي للغرب وحددت هذه العقدة قدرته الفكرية والعقلية وانعكست على مستوى أدائه وطريقة تفكيره في مجالات ثقافته واقتصاده وسياسته ومجتمعه والميادين الاخرى، ولما كانت العولمة تمثل اقصى حد للاستلاب وتحمل في داخلها هذا المزيج المركب والمعقد من المكونات التاريخية والايدولوجية والنفعية كل ذلك يفرض على الاسلاميين الانتقال من منصة الخطاب الوعظي والتحرك نحو الواقع والانفتاح على العصر والعمل على تحويل الفكر والتنظير الى برامج عمل واقعية تستمد مقومات وجودها من المرجعية الاسلامية (الكتاب والسنة) وان العولمة لا يمكن مواجهتها بجهود فردية ما لم تكن هناك مؤسسات تستعيد فاعلية الشورى والعمل المؤسسي ويمكن ان نحقق تقاربا لهذا الهدف عن طريق دعم اسلمة الدولة والاستفادة من مؤسساتها لاستئناف مشروع الاصلاح الذي يجمع بين الدين والدولة في مواجهة المارد العولمي ومن خلال فك هذا الاشتباك واعادة تأهيل العمل الاسلامي دوره في اطار الاصالة والمعاصرة تتوحد الجهود على بناء هيكلية المؤسسة الوطنية الايمانية التي تملك رؤية مستقلة تحقق المحافظة على النوع الاسلامي وتتحصن ضد التحديات الغربية او الاستعدائية، ولما كانت العولمة تتحرك باتجاه تفتيت الدولة الوطنية وتحويل السلطة الى رأس المال من خلال حرية حركته وازالة القيود الجمركية والتجارة الحرة وكل ذلك يؤدي الى اضعاف دور الدولة ومركزيتها، والدول التي تقبلت هذه الالية فقد (تنازلت بوعي

كامل عن استقلالية قرارها تجاه السوق العالمية، وقبل عصر العولمة كانت كل الدول في وضع يتيح لها تصحيح نتائج السوق غير الاجتماعية من خلال قرارات سياسية واليوم اصبح هذا الاطار النظامي اكثر ضعفا ويوما بعد يوم يتزايد عدد اولئك الذين ينتقدون حركة رأس المال وحرية انتقاله غير المحدودة)[1].

وهذا يؤكد لنا بأن التمسك بالدولة ودعم مؤسساتها على وفق المسؤولية الايمانية يحقق نوعا من التماسك ازاء التصدعات التي تسعى اليها العولمة، والعولمة في تحدياتها تمارس تضليلا فاعلا ومؤثرا في الجانب الاقتصادي الذي يعد الاداة الفعالة في تحقيق برنامجها، اذ وعدت العولمة بالرفاه والرخاء الاقتصادي كما يقول مايكل ايزنر رئيس والت ديزني (ان النموذج الترفيهي الامريكي يوفر امكانات فردية متنوعة فالاختيار الفردي والتعبير الفردي هو ما يريده الناس في كل مكان وهكذا توظف العولمة الاقتصاد من خلال تزييف الحقائق والادعاء بان العولمة تنتج تنوعا في كل مكان من العالم)[2].

والتحدي الاقتصادي للعولمة يفرض علينا التركيز على الاقتصاد الاسلامي وتنمية القدرات الاقتصادية الاسلامية والعمل على تأسيس رأس مال اسلامي والتحرك باتجاه امتلاك الثروة فانه لا يمكن ان تكون هناك قوة معنوية وروحية مؤثرة بلا قوة مادية موازية لها وتوفر للقوة الروحية اسباب التمكين والتأثير في الواقع الانساني فلابد من السعي لامتلاك المال والمحافظة عليه وتنميته وهذا الامر يتولد من اعادة النظر في التوجهات الاسلامية المعاصرة المبنية حاليا على اسس فهم تراثي لعصر غير عصرنا قائم على الزهد والتأثم

---

(١) الكذبات العشر للعولمة بدائل دكتوتارية السوق، جيرالد بوكسبرغر هالد كليمنتا، ترجمة، د. عدنان سليمان، ص٧٤.

(٢) انظر: الكذبات العشر للعولمة، م.س، ص١٦٨.

في التفاعل مع الحياة ويعاني من فقدان العمق الفكري لديناميكية الاقتصاد وبالتالي فهو مخالف لخارطة اسس الاصالة والمعاصرة قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[1] .

فقد مزجت هذه الاية عناصر التمكين للقوة الاسلامية القائمة على اساس الحق والعدل والاسس الفكرية المستمدة من الكتاب المنزل، فكان الحديد هو العامل الحاسم في تمكين الرسالة الذي يضع الانسان امام اختيار الموازنة يف استخدام القوة لنصرة الحق، ان العولمة مع قدراتها الفائقة في تحقيق هيمنة الغرب لكنها حفزت العقل الاسلامي باتجاه البحث عن خياراته المتاحة امامه في اصول دعوته ورسالته واعطته شحنة قوية لكي ينهض من جديد يبحث في الكتاب والسنة عن اصول المعاصرة الراهنة للفكر الاسلامي وبذلك يمكن تركيز خطوات التصدي للعولمة بما يأتي:-

١. استعادة الوعي والثقة بالاسلام عن طريق الاعلام الاسلامي الهادف وبناء مؤسسات اعلامية كالفضائيات وعن طريق الممارسة الصحيحة لتغيير منهج الاستبداد السياسي في انظمة الحكم ولابد من التحذير من التغيير الامريكي والاستعانة به.
٢. العمل على زيادة فاعلية المؤسسات وتنمية العقل المؤسسي والشورى وتجميع الطاقات والجهود.
٣. اعتماد فلسفة الجهاد الاسلامي لتستوعب كل اوجه النشاط من العلم والعمل والاستعداد للمواجهة العسكرية اذا فرضت على الامة وتعميم مفهوم الجهاد ليشمل المجال العلمي والتقنية.

---

(١) الحديد: الاية ٢٥.

٤. اعادة العقل ودوره في المنظومة المعرفية الاسلامية عن طريق تنشيط المؤسسات البحثية ومجال الاجتهاد وحرية الرأي.

٥. الاهتمام بالاقتصاد والسعي لبناء اقتصاد اسلامي لمواجهة الاقتصاد الرأسمالي ولو على مستوى القطاع الخاص.

وحركت العولمة بصدماتها المتسارعة الفكر الاسلامي المعاصر للقيام بنوع من التقارب وتناسي الخلافات وايجاد نوع من الشعور المتفق على ضخامة التحدي وتعامل هذا التحدي القائم على وضع الاتجاهات الاسلامية المختلفة في مستوى واحد ورفضها جميعا، الامر الذي يدفع المسلمين الى جدية التفكير في تأسيس عمل موحد يتفق على الثوابت ويتجاوز الخلافات الفرعية. والعمل على تحويل اتجاه العمل الاسلامي في الداخل الى توسيع قاعدة الكسب ورفض الاستعلاء ومصادرة الاراء، على اساس ان الاسلام ليس حكرا على جماعة معينة وان من قال ان لا اله الا الله محمد رسول الله فهو من امة محمد ﷺ وحسابه على الله، وليس من حق احد ان يحدد مصائر الناس عند الله، ومع هذا الشعور الذي تولد من تحديات العولمة فان المفاهيم المعاصرة وتطور وسائل الحياة وتعاظم قدرة العولمة في توظيف التطور العلمي لصالح فلسفتها ونظرتها الى الحياة، يحفز المسلمين ايضا الى الاهتمام باعمال العقل والعمل على اعادة تشكيل العقل الاسلامي لكي يتكيف مع هذه التطورات واعطاء العقل اهمية تتناسب مع موقعه في المنظومة المعرفية الاسلامية فقد اسس القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة اسس المنظومة المعرفية التي توظف العقل باتجاه التعامل مع الواقع واستخدم التجربة واعتماد منهج التحليل والنظر العلمي واستبعاد الخرافة والدجل ومن اعظم الدلائل على هذا المنهج القرآني ان اول ما

نزل من القرآن الكريم اقرأ..ثم فصلت الايات الاولى اسس المعرفة القرآنية في قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝١ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[1] .

اليس هذا دليلا على عظمة الاسلام والقرآن اذ انزل الله تعالى قبل اكثر من الف واربعمائة عام هذه الايات العظيمة على رجل امي في امة امية لا تقرأ ولا تكتب ولكن الله تعالى اراد ان يحقق معجزته في انبثاق اعظم حضارة من صحراء العرب يقودها رجل امي اصبح فيما بعد اعظم انسان في التاريخ باعتراف رجال الفكر الغربي فقد وضعوا رسول الله ﷺ الاول في التاريخ[2] مقارنة بعظماء العالم عبر التاريخ الانساني.

ثم تتابعت الايات الكريمة التي تفصل النظام المعرفي القرآني ونحن نعيش تحديات العقل الغربي مطالبون باعادة النظر في بنائنا العقلي واعادة تركيبه على وفق الاتجاه القرآني الذي دعت اياته الى تفعيل الطاقة العقلية من خلال التفكير في الـ (كيف) فطالما سأل القرآن الكريم عقل الانسان عن كيفية الظواهر الطبيعية ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ ﴾[3].

ان الاهتمام بالكيف يفتح افاق العمل العقلي في حين اهمل القرآن الكريم الالتفات الى الـ (من) فانه لا يعني المنهج الاسلامي (والحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق بها)[4] كما قال رسول الله ﷺ ولا يسأل من قالها وممن خرجت؟ ولذلك دعا القرآن الى الانشغال والتوقف عند كيف هو؟ وعدم التوقف والانشغال بمن هو؟ وبذلك نتخلص من اسقاطات مسبقة قد تكون عائقا امام

---

(١) العلق: الايات ٣ - ٥.

(٢) انظر: كتاب المائة الاوائل، مايكل هارت وكتاب الابطال، توماس كار الايل.

(٣) الغاشية : الاية ١٨.

(٤) الحديث رواه الترمذي، قال عنه هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه، ينظر: سنن ابن الترمذي ٤/٤١٧.

التغيير. وعند استيعابنا للكيف ننتقل الى ادراك فلسفة الكيف من خلال التفكير في الغايات من هذه الكيفيات فيكون هذا الموقف مختزلا في السؤال الغائي (لماذا) وهذا السياق بين الكيف والماذا هو سياق النظام المعرفي الاسلامي الذي يخالف به المنهج الغربي الذي يتوقف عند الكيف دون الدخول في الغايات ولذلك عندما كان القرآن الكريم يخاطب العقل بالكيف يريد ان تمتزج عنده المعرفة بالايمان ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ تؤدي في التعرف على نظامها الدقيق في الخلق الى التعرف على غاية خلقها لماذا خلقت؟ وتؤدي هذه السلسلة المنطقية المعرفية الى الايمان بالخالق العظيم، وعندها نعود الى نقطة الافتراق بين فلسفة العولمة وبين حقيقة المنهج الاسلامي، ومع هذه الحقائق الواضحة في المنهج الاسلامي نجد المسلمين قد ابتعدوا عنها وتضاءلت قدراتهم العقلية والفكرية وتحددت طرق تفكيرهم المعرفي ويتوجهون نحو الثقافات المعطلة التي لا ترتبط بالواقع.

ولعل التأمل في مجالات المعرفة الغربية والمقارنة مع اهتمامات المسلمين بثقافة تراثية، تعطي صورة واضحة لعدم ادراك المسلمين لطبيعة الصراع مع الغرب وضعف قدرتهم على المعاصرة فنجد الغرب يحقق سبقا في ميادين المعرفة العلمية ويتسابق في مجال الكشوفات الطبية والهندسية والمجالات الاخرى نجد المسلم في الوقت نفسه يتصرف باتجاه حفظ المتون والاهتمام بالمظاهر الدينية ويترك ثغور الصراع مفتوحة للاخر وكل ما يجري عندنا على العكس من المطلوب فالتعليم تلقيني نظري- لا يفيد في سوق العمل - التعليم المقصود الديني والمدرسي- وفرص الارتقاء نحو مراكز التأثير مقفلة امام النخب الصاعدة والعناصر الكفوءة بسبب جلوس الفاشلين عند ممرات العبور (واذا كان مثقفو كوريا ثم طلاب الصين قد خرجوا الى ساحة تيان آن مان لرفض مقولة رجل احمر خير من رجل خبير) فأن الشوارع العربية لا تمتلئ الا

حين تفرغ صالات السينما ما في اجوافها من شبان فقدوا كل امل بالمستقبل، لا شغل لا بيت لا زواج وبالتالي لا معنى للحياة ولا ايمان بأية قيمة، من هذه الزاوية يمثل الرجوع الى الدين حركة روحية في مجتمع فقد الحياة بتدمير مقوماتها الاساسية من تعليم ومهنة وماوى وروح وجماعية وحياة عاطفية تنتشر من الحب الفردي الى الاسرة الى الوطن والمجتمع والامة)[1]. وعلى هذا الاساس تكون العودة الى الدين في مثل هذه الاوضاع عودة خاطئة تمثل استجابة فاشلة لتحديات خطيرة، ولذلك على المسلمين ان يحرصوا على تطور تقانة المعلومات لديهم (لأن الذي يملك المعلومة او ما يسمى (القوة المرنة) سوف يملك القدرة على التعامل الواعي المتمكن)[2].

وان الذي لا يملك القدرة على الاختراع والابداع في مجال العلم والتكنولوجيا سوف يكون عاجزا متخاذلا بل مستغلا من الاخر الذي يملكها، هذا يؤثر على صياغة ثقافته وعقله ونمط حياته، ونعود لنؤكد ان عودة الوعي الى العقل المسلم واستعادة الثقة بحقيقة الدين واليقين بأن الله تعالى قد حكم الوجود بقوانين كونية وان هذا القوانين لا تجامل ولا تحابي فمن سار عليها سخرت له مقدرات الكون وهذا هو قانون الاستخلاف الذي حدد وظيفة الانسان فالحضارة الاسلامية لابد ان تكون في موقع التأثير في كل نقاط الحياة في مجال الروح والمادة والاكتفاء بالروح لن يحقق التمكين والاكتفاء بالمادة ايضا لن يحقق التمكين ولكن قد يحقق التدمير وفي لحظة عودة الوعي نكون قد توجهنا نحو الاتجاه الصحيح ووضعنا الخطوة الاولى على الطريق كما حصل لسحرة الفرعون عندما تحولوا من اتجاه الطغيان الى اتجاه الاسلام في لحظة الوعي

---

(١) الامة المشلولة، محيي الدين صبحي، ص١٣٢.

(٢) انظر: مقدمة عمر عبيد حسنة، كتاب ظاهرة العولمة رؤية نقدية، د. محمد بركات، م.س.

التـــي وصـــفها القـــرآن الكـــريم بقولـــه تعـــالى﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾[1] .

وعودة الوعي تربط الانسان بمصدر القوة الايماني الذي يحصن الشخصية من الانهيار او التعويم في التيار الضاد ولما كانت التحديات المتمثلة بالعولمة تحاول خنق كل محاولة لاعادة التوازنات الدولية فالحاجة ماسة والحالة هذه (لصياغة خطاب مضاد للعولمة لا يجنح كخطاب العولمة الى تعميق الاستلاب الاقصى للمجتمع الانساني ولأن تأسيس الخطاب المضاد يقوم على قوة العقل وضمان الاختلاف والتنوع واحترام الاخر فان هذا الخطاب لا ينبغي ان يتحول من سلاح في الحرب ضد العولمة الى ذريعة للكف عن التفكير)[2]. وان لا نتوقف عند حدود العاطفة وتاجيج مشاعر الحقد والكراهية ولابد من الارتحال عن مواقع الاختناق بانفسنا ولانفسنا فقيام الاخرين بالتفكير بدلا عنا (كما يحدث الان) سيجعل حضارتنا نتاجا لحضارتهم ويضعنا الى الابد وباسرع مما نعتقد او نتصور خارج التاريخ[3].

---

(١) طه: الاية ٧٠.

(٢) المجتمع والعولمة، د. عماد عبد اللطيف سالم، م.س، ص٧.

(٣) المجتمع والعولمة ، د. عماد عبد اللطيف سالم ، م.س ، ص٧.

الخاتمـــة

بعد هذه المتابعة لاوهام العولمة وتحدياتها لابد ان ندرك ان خطورة تحديات العولمة ستطال كل نقاط الحياة الانسانية في كل موقع وفي كل مكان وذلك يحتم على النخب العمل على توحيد جهود الامة واعطاء الفرصة للاسلام لكي يلعب دورا فاعلا في تعبئة طاقات الامة في عصر العولمة لأن الاسلام يمثل الفرصة الاخيرة للانسانية لاقامة حضارة العدل والقيم، فالعالم اليوم شرقا وغربا يعيش ازمة روحية وخلقية واجتماعية واقتصادية تتطلب حلا سريعا عاجلا، والحل الوحيد هو تحول القيادة العالمية وانتقال دفة الحياة من اليد الاثيمة الخرقاء التي اساءت استعمالها الى يد اخرى بيضاء حاذقة، ان تحول القيادة من بريطانيا الى اوربا الى امريكا او اشراك روسيا في هذه القيادة لا يغير من الموقف شيئا فليست بريطانيا وامريكا وروسيا الا ايدي رجل واحد تتداول دفة الحياة وتتناوب تجديف السفينة على خط واحد الى جهة واحدة، ان التحول الذي يغير وجه التاريخ هو التحول من المادية الى الاسلام والى العالم الاسلامي الذي يقوده محمد ﷺ هذا التحول هو الذي ينقذ العالم من الساعة الرهيبة الذي ترقبه ومع ما اصيب به المسلمون من علة وضعف فانهم هم الامة الوحيدة على وجه الارض التي تعد خصيم الغرب والمنفس الوحيد لها على قيادة العالم وهي الامة الوحيدة التي تملك المواصفات التي ترشحها لأن تقود العالم الى التقوى والفضيلة والقيم والى السعادة والفلاح في الدنيا والاخرة وتحول بين الامم وجهنم ما استطاعت من القوة.

هذه الامة التي يمكن ان تعود في حين من الاحيان خطرا على النظام الجاهلي الذي بسطته امريكا اليوم في الشرق والغرب وان تحبط مساعيها، وعندما يعرض الاسلام نظاما عالميا قائما على الرحمة والعدل فانه يحمل المسلمين مسؤولية غياب هذا النظام عن العالم وبذلك يفرض شعورا لدى

المسلمين بان ما يحصل من فساد وظلم في ارضهم فانهم لا شك مسؤولون عنه امام الله وعن موقفهم ازاء هذه التحديات التي تعصف بالارض اليوم، من هنا فانه لا يوجد موقف لاهل الاعراف في هذا العالم، ولأن العولمة كذلك لن تسمح لك بذلك فاما ان تبتلعك وتتقيأك سلعا وأما أن تسحقك وتنهي وجودك، وكما يقول رأس العولمة (اما ان تكونوا معنا او انتم مع الارهاب)* وهذا هو اسلوب الدجال الذي يظهر في اخر الزمان والذي وصفه رسول الله ﷺ بانه تطوى له الارض وتقذف اليه الارض بكنوزها ويعطيه الله ﷻ من القدرات والخوارق لكي يختبر انسان العصر الاخير(١)، وقد اخبر رسول الله ﷺ كذلك بأن هذا الدجال سوف يسبقه دجالون كثيرون على طريق الاوهام والهيمنة على فكر الانسان، ولذلك على المسلم المعاصر وهو يعيش الهيمنة الامريكية وسلطة العولمة وسطوة العلم المادي وطغيان اليهود عليه ان يستحضر هذه المعاني التي تحدثت عنها نبوءات الرسول ﷺ وان لا يستسلم امام قدرات الطاغوت وان لا ييأس من نصر الله وان ظهر بعيد المنال، فانه قريب في مقاييس الايمان بالله وبالاخرة، وان يكون مشروع التغيير الاسلامي متأسساً على مفهوم الثبات والمصابرة لكي يستوعب الاجيال القادمة ولا يكون محددا بعصرنا، وهذا هو منهج الاسلام في رسم معالم طريق الاصلاح والتغيير، وفي الموازنة بين تأسيس هذه المفاهيم والعمل على مواجهة التحديات العولمية ستطلع المسلم الى مرحلة التمكين لكي يتحول الى مرحلة الشهود الحضاري ويثبت للعالم ان النظام العالمي الاسلامي ليس كالنظام العالمي الامريكي، وعندما يقرا المسلم هذا النظام الذي ذكره القرآن الكريم في قصة ذي القرنين يزداد تطلعا وشوقا الى

(*) هذا هو شعار الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش الذي دشن به الحرب على الاسلام .

(١) احاديث كثيرة بهذا المعنى منها ما رواه مسلم باب ذكر الدجال ١٩٦/٨، رقم الحديث (٢١٣٧).

الوصول لمرحلة التمكين وتجاوز مرحلة الاشتضعاف، فقد اثبتت قصة ذي القرنين عدالة الاسلام ورحمته وذلك في قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

ويتحدث القرآن الكريم عن تعامل هذا النظام العالمي الاسلامي مع الشعوب التي تخضع لسيطرته فيقول ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[2].

ويتحدث القرآن الكريم عن موقف النظام العالمي الاسلامي في دفع المستضعفين ودفع الظلم عنهم وذلك عندما يقوم ذو القرنين ببناء السد بين المستضعفين وبين البرابرة المتوحشين (يأجوج ومأجوج) ثم يعلن هذا النظام على لسان هذا الفاتح العظيم بانه خاضع لله ومتواضع امام قدرته وعظمته فيقول (قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وغد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا)[3].

هذه الصورة القرآنية للنظام العالمي الاسلامي تؤكد امكانية عودة الاسلام والصعود الى دائرة التمكين وامتلاك القوة المادية لكي تصحح الاوضاع الفاسدة، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ولكن هذه الصورة التي عرضها القرآن الكريم للنظام العالمي الاسلامي تبقى مجردة عن التأثير ما لم يتحرك المسلمون لتحويلها الى واقع يقيم الله به الحجة على الخلق.

وقد وصف الشاعر اقبال (رحمه الله) خوف الشيطان من امة محمد ﷺ بقوله على لسان ابليس عليه لعنة الله: لا يخوفني هؤلاء الشيوعيون الطرداء

---

(1) الكهف، ماذا خسر بانحطاط المسلمين، ابو الحسن الندوي، ٢٨٣.٢٨٧.

(٢) الكهف: الايات ٧٨ - ٨٨.

(٣) سورة الكهف، الاية (٩٨).

والصعاليك السفهاء ان كنت خائفا فاني اخاف امة لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة في رمادها، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وتسيل دموعهم على خدودهم سَحَرا، انا لا اجهل ان هذه الامة قد اتخذت القرآن مهجورا وانها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادخاره كغيرها من الامم وانا خبير ان ليل الشرق داج مكفهر وان علماء الاسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التي تشرق لها الظلمات ويضيء لها العالم، ولكني اخاف ان قوارع هذا العصر ستقض مضجعها وتوقظ هذه الامة وتوجهها الى شريعة محمد ﷺ اني احذركم وانذركم من دين محمد ﷺ حامي الذمار حارس الذمم والاعراض دين الكرامة والشرف دين الامانة والعفاف دين المروءة والبطولة دين الكفاح والجهاد لا يفرق بين مالك ومملوك ولا يؤثر سلطانا على صعلوك وأي ثورة اعظم وأي انقلاب اشد خطرا مما احدثه هذا الدين في عالم الفكر والعمل يوم صرخ أنَّ الارض لله لا للملوك والسلاطين، فابذلوا جهودكم ان يظل هذا الدين متواريا عن اعين الناس، يا ويلتنا ويا شقوتنا لو انتبهت هذه الامة [1] التي يعزم عليها دينها ان تراقب العالم وتحقق شهادتها على الامم امام الله رب العالمين، واخيرا لابد من دعوة العقل والفكر ليحكم ويقارن بين اوهام العولمة ودعوة الحق والحقيقة، بين تزييف الشيطان ورسالة الاسلام وهي دعوة دعا اليها القرآن في قوله تعالى:

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ابو الحسن الندوي، ٢٨٣ - ٢٨٧.

(٢) سبأ: الاية ٤٦.

المصـــادر والمراجـــع

القرآن الكريـم:

١. الاسـاطير المؤسسـة للسياسـة الاسـرائيلية، روجيـه غـارودي، ترجمـة حـافظ الجمالي.

٢. الامة المشلولة، محي الدين صبحي، دار رياض الريس، بيروت.

٣. حقيقة البابية والبهائية، د. محسن عبد الحميد، بغداد.

٤. حمـى سـنة ٢٠٠٠ نظـرة فـي مسـيرة الصـراع الـديني ضـد المسـلمين، عبـد العزيز مصطفى كامل.

٥. الخطـر المحـيط بالاسـلام، الصـهيونية وبروتوكولاتهـا، الكاتـب التركـي جـواد رفعت اتليفان، ترجمة وجدي عز الدين.

٦. دبلوماسية محمد ﷺ ، د. عون الشريف قاسم، الخرطوم، د. ت. .

٧. درع الصـحراء والنظـام العـالمي الجديـد، تقريـر فريـق نـورث بوينـت (نـورد ديفز)، ترجمة محمد الظاهر ومنية سمارة، دار الكرمل، عمان، ١٩٩١.

٨. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل احداث، د. علي محمد الصلابي.

٩. الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح الصهيونية، د. رشاد عبد الله الشامي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

١٠. صـدام الحضـارات، اعـادة صـنع النظـام العـالمي، صـموئيل هنتكتـون، ترجمة، طلعت الشايب.

١١. صـناعة الجـوع او خرافـة النـدرة، فرانسـيس مورلابيـه وجوزيـف كولـوميتز، ترجمة احمد حسان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

١٢. ظاهرة العولمة رؤية نقدية، د. محمد بركات محمد مراد، كتاب الامة، دولة قطر.

١٣. العرب والعولمة، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

١٤. العولمة واثرها في الاقتصاد العربي، ندوة بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢م.
١٥. الغرب والاسلام، د. رسول محمد رسول، بيروت.
١٦. فخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارولد شومان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
١٧. الكامل في التاريخ، عمدة المؤرخين، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الاثير، ت٦٣٠هـ دار الكتاب العربي، بيروت (ط٣)،١٩٨٠م.
١٨. قبل الكارثة، نذير ونفير، عبد العزيز مصطفى كامل.
١٩. الكذبات العشر للعولمة بدائل دكتاتورية السوق، جيرالد بوكسبر غر هالد كليمنتا، ترجمة د. عدنان سليمان.
٢٠. ما بعد الحداثة، المثقفون وحرب الخليج، كريستوفر فوتريس، ترجمة: د. عابد اسماعيل، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
٢١. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ابو الحسن الندوي، دار الانصار، ط١٠، القاهرة، ١٩٧٧.
٢٢. ماهية الحروب الصليبية، د. قاسم عبده قاسم ، سلسلة عالم المعرفة.
٢٣. المجتمع والعولمة بين خطاب الاستلاب الاقصى والخطاب المضاد، د. عماد عبد اللطيف سالم، بحث في مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة، ٢٠٠٢ .
٢٤. مجلة المستقبل العربي، نركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
٢٥. مستقبل العولمة، د. رسلان خضور ود. سمير ابراهيم حسن، دمشق.
٢٦. المسلمون والعولمة، د. يوسف القرضاوي.
٢٧. النبوءة والسياسة، غريس هالسل، ترجمة محمد مطلك. دار النفائس بيروت ط(٥) ، ٢٠٠٣م .

٢٨. وقائع ندوة (من اجل عالم عادل وتقدم دائم) بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢.
٢٩. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار العلم، بيروت، ط(٢)، ١٩٨٨م.

المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
تعريف العولمة وتاريخ الصراع مع الغرب	٣
اللقاء الأخير بين الإسلام والغرب	١٢
صراع اليهود ضد الإسلام	٢٤
حدث غير مجرى التاريخ في علاقة المسلمين بالغرب	٣٨
عودة الى نظرية الصراع من اجل البقاء	٥٣
تحديات العولمة للعالم الإسلامي	٥٩
التحدي الاقتصادي	٦٧
التحدي السياسي	٦٨
التحدي الثقافي	٧٠
رؤية إسلامية للعولمة	٧١
الخاتمة	٩٣
قائمة المراجع والمصادر	٩٧

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

https://twitter.com/SourAlAzbakya

https://www.facebook.com/books4all.net